

شَيْخُ الْعَرَبِ الْمُنْكَرِ

مُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارٍ الْمَوْصِلِيُّ

١٧٠ هـ - ٢٣٢ هـ

محمود الجومرد

شِمْاعُ الْمَنَاسِكِ

مُحَمَّدُ بْنُ بَكَّارٍ الْمُوصِلِيُّ

١٧٠ هـ - ٢٣٢ هـ

محمود الجومرد

شبكة كتب الشيعة



الطبعة الاولى

مطبعة المعارف - بغداد

١٩٧٧

تقديم

للكنوز أكرم فاضل

بعد فراغي من قراءة كتاب (مَخْلَدُ بْنُ بَكَّارِ الموصلي) تذكرت قصيدتين للصافي النجفي حاول فيهما أن يدلل على أن الشعراء المشهورين ليسوا بأفضل الشعراء . وما كدت أغوص في هذه السانحة حتى وردت سانحة أخرى ، وهي قوله : جاك ييرك في كتابه (العرب [إن على العرب أن يحياوا تراثهم ، ولكن هل كل تراثهم ؟ ... يجب المؤلف : كلا ، إذ هذاك تراث يجب طمره والى الأبد] . ولكن ما يفصل التفرقة بين تقيضي هذا التراث ومن هو الحكم ؟ هل الفرد ، وما أكثر ما يحور ، أم الجماعة ؟ . وهنا تجرّنا الديموقراطية جرّاً الى التصويت بالأكثرية أو بالإجماع ، وهنا كذلك ديار الورطة والحيرة .

أما أنا فأرى نشر التراث بقضه وقضيضه ، وذلك لأنه سلسلة لا يصح بتر حلقه من حلقاتها . أما المستفيد فهو الباحث ، وهو الذي يختار ما نخلوله أو ما يحتاج اليه .

لذلك أكبرت جهد الأستاذ خود الجومرد في تقصّيه أخبار مخلد ، فشعره لم يضبط ضبطاً صحيحاً حتى اليوم ، نظراً لأن المصادر كلها

مغلوبة ، ولا يمكن والحالة هذه مضاهاة الغلط بالغلط :

أعمى يقود بصيراً ؟ لا أباً لكمو

قد ضلّ من كانت العُميان تهديه

ولكن الجومرد الأديب الصامد يبرز علينا بدراسة متكاملة .
التوطئة و طأت أكناف الموضوع وأزالت بعض وحشتنا منه ، وعلمتنا
ما لم نكن نعلم ، وقد التذذت باللمحات الموازنة التي رسم خطوطها
العريضة ، ثم هو يتتبع حركات الشاعر منذ صباه ويدرس بيئته ،
ويجول لنا أن الهجاء نقدٌ إذا خلا من الإفحاش ، بل الهجاء أحياناً فلسفة ،
وشاهدي المتنبي في هجاء ابن كيغلق ، فالمطلع حكمة ، وبعد أبيات تقع
في جُـبِّ الإقذاع ، ثم يعود الشاعر الى عقله فيتفلسف مجدداً ،
وهكذا ... ونخبرنا الأستاذ كذلك أن الهجاء رفع الخمول عن بعض
الشعراء ، ومنهم مغلد ... كل هذا صحيح .

وما دام أن الشاعر إشتهر لتعرّضه لشاعر آخر عملاق هو أبو تمام ،
فالمؤلف يقصّ علينا قصة هذه الخصومة بصورة شائقة ، ولا ينسى أن
يعرض علينا الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأدبية التي
كانت سائدة آنذاك ، مثله مثل كل باحث يشعر بالمسؤولية المعاصرة .

وهنا أيضاً لا نستوحش وهو يأخذ بأيدينا الى مشهد معركة بين
القبائل اليمانية والزارية في (الميدان) . ولا يزال الميدان ميداناً في
الموصل ولا يزال احفاد اليمانية والزارية احياء يرزقون .

والحقيقة أنني لم أملّ من قراءة هذا المجهود ، فقد حرص المؤلف
على جعله سلساً سائغاً معقولاً بعيداً عن التمحولات ، ولكنني اشفقت

عليه من قلة المصادر وتخبّطها . ولعل من حسنات الكتاب الأخرى
هذه الشروح المستفيضة وهذه الجمهرة الحاشدة من شعر الشاعر ، وربما
كانت كل شعر هذا الشاعر المتوتر الأعصاب .

وبعد ، فالأستاذ محمود الجومرد من المؤلفين الذين يتّصفون بالآناة
وإعمال الرويّة ، ولهذه العلة الحسنة مؤلفاته قليلة ، ولكنها محكمة البناء .
وكم كنت أتمنى لو قدّر لهذا الشعر أن يحظى بالصيغة الصحيحة
النهائية ، ولكن كما يقول أصحاب القانون « لا إلزام بمستحيل » .

مقدمة

تخلدُ الموصلي ، شاعر مغمور مظلوم ، رقيق الحس ، لايسكت على خطأ أو ظلم ، ولا يلتزم بشيء اذا ما وجد الأمر يجري على غير طبيعته وسُننه ، يتألم لفقد الرجال الفرسان الشجعان فيرثي بقلب موجع ونفس حزينة ، ويهتز لأعمالهم فيمدح ، ويسخر من الخارجين على خلق الرجال فيثور ويهجو عابثاً ساخراً ، ويبتهج بجمال الانسان والطبيعة فيصف ويشتااق ويتغزل . وقد لقبته ب (شاعر المنارة) لحادث طريف ظريف وقع منه ، آثرت أن يكون عالقاً به معروفاً عنه .

ظلمه مؤرخو الأدب وجامعو الشعر واهمالوه ، لأنه لم يتكسب بشعره فيخدم ذوي الجاه والسلطان ، ولم يجتمع في مجالس اللهو والطرب والشراب فيلهو ويعبت ويمدح ويختلق الصور الخيالية ويتقن في الوصف كذباً وهتاناً .

ضاع اسمه بين الشعراء حتى لم يعرفه ولم يسمع به خاصة الادباء من ابناء بلده الموصل ، ومع هذا كنت تجده في زوايا كتب نقاد الادب القدامى دائماً في موضع الجودة والثناء والاستحسان . وتخلدُ الموصلي من اوائل من نظم شعر الهجاء الهزلي الساخر الضاحك (الكريكاتير) الخالي من الشتائم والفحش والحقد ، ولعله كان اظرفهم هزلاً وسخرية

وفناً لو انصفه النقاد . ولا ادري من قال : إن الجوهر لو وضعت عليه جبلاً من تراب فلسوف يلمع يوماً ما ويظهر .

ويحدثنا ابو الفرج الاصبهاني^(١) ٣٥٦هـ - ٩٦٦ في كتابه (الاغاني) عن الشاعر : ربيعة الرقي بقوله^(٢) [هو من المكثرين المجيدين ، وكان ضريراً ، وإنما اخمل ذكره واستقطه من طبiquته بُعدُ عن العراق ، وتركه خدمة الخلفاء ومخالطة الشعراء ، وعلى ذلك فما عُدَّ مُفضَّلاً لشعره مُقدِّماً له] .

فكم من نبوغ دفن في التراب في حياته ثم ظهر بعد موته عندما استيقظ الزمن وعقل ابناءؤه فجدوده واكرموه ؟ وكم من أديب راهب غلب عليه الحياء وعزة النفس وكرامة الرجال فأنزوى ودفعه تيار الحياة وذهب مع الذاهبين ؟ ثم كان عكس هذا ، فكم من مشهور بمحدود ملاً الاسماع والابصار ، ثم سار الزمن فظهر الزيف ، والزمن بصير نقاد لا يجوز عليه زيف ولا باطل . وقدما قالوا [اذا اقبلت الدنيا على رجل اعطته محاسن غيره واذا ادبرت سلبته محاسن نفسه] . وفي الادب العربي شعراء مشهورون وشعراء مغمورون ، وفيهم من أنتحلت لهم

(١) السنوات التي تعقب اسماء الاعلام هي سنوات الوفيات . وسنة وفاة الاصبهاني هي ٩٦٦م وليست ٩٧٦ كما جاء في صفحة العنوان من كتاب الاغاني - الطبعة الجديدة . راجع (جدول توفيق السنين الهجرية مع السنين المسيحية في معجم المنجد - الطبعة الخامسة) .

(٢) الاغاني ج ١٦ ص ٢٥٤ . ربيعة الرقي هو ربيعة بن ثابت الانصاري ، كان ينزل (الرقة) وبها مولده ومنشؤه . والرقة مدينة مشهورة على الفرات من بلاد الجزيرة ، من جانب الفرات الشرقي ، وينسب اليها جماعة من أهل العلم والأدب - معجم البلدان ج ٣ ص ٥٩ .

القصاصد الطوال وهي ليست لهم الخ ... وفي الآداب العالمية أشباه هذا .
فهؤلاء الانكليز ملأوا الدنيا بشاعرهم (شكسبير) ومجدوه
وأحاطوه بهالة تكاد أن تكون قدسية وليست شعرية ، حتى امتلات
اسماع الناس على اختلاف اللغات والاجناس .

هذا الشاعر نشأ في مدينة صغيرة قبل اربعة قرون ، ولم يتلق
دراسة عالية . استطاع أن يغوص في اعماق النفس الانسانية وعواطف
القلب البشري ، يستوحي الحكمة ويصف حياة الغني والفقير . والمملك
والصعلوك ، ويصور الامداث التاريخية ، ويستنطق الاشخاص بلغة
شاعرية رائعة .

ثم جاء النقاد الانكليز المحدثون ، ولنستمع الى ما قالوا عن شكسبير
الاسطورة : نشرت مجلة Reader's Digest (المختار) بمناسبة مرور
اربعة قرون على ولادة شكسبير مقالاً بعنوان "Too Many
Shakespeares أي (شكسبيرون كثيرون جداً) جاء فيه [كل ملايين
النصوص التي انصبت في الاتجاه السائد للحضارة الغربية ، ليس فيها من
الاعمال الادبية التي تُرجمت كثيراً ، أو غالباً ما اقتُبست واستُشهد بها
كأعمال شكسبير وكالانجيل ... وفي هذه السنة بمناسبة مرور اربعمائة
سنة على ولادة ^(٢) شكسبير اشتدت المناقشات حول : من كتب شكسبير ؟

Reader's Digest - September 1964 P. 129 (1)

By : Dora Jane Hamblin

والمقال ملخص من مجلة (لايف)

(٢) ولد شكسبير في مدينة ستارتنفورد سنة ١٥٦٤ وانتقل الى لندن
سنة ١٥٨٤ وتوفي سنة ١٦١٦ وعمره اثنتان وخمسون سنة .

فكثير من الدارسين الكلاسيكيين يفضلون : أنه الرجل التقليدي نفسه - أي شكسبير - ولكن ليس أقلّ من (سبعة وخمسين) شكسبيراً حقيقياً برز في نظر الهواة والباحثين المحترفين وإن أول مجموعة نُشرت ونسبت بوضوح الى شكسبير كان سنة ١٦٢٣م وكان ذلك بعد سبع سنوات من وفاة رجل يُعرف بـ (وليم شكسبير) . والكتاب يشير الى أن جامعيه هما إثنان من رفقه الممثلين ، وما من احد في ذلك الوقت ، على ما يظهر ، شك وارتياب في المؤلف .

ولكن في منتصف القرن التاسع عشر فقط ، بدأ - جدّياً - التحدّي والمراجعة فيما ألف شكسبير . وإوائل الشاكّين يعتقدون أن " (فرنسس بيكون) هو وحده أو هو احد افراد " جماعة كتبوا أعمال شكسبير وجعلوه قناعاً يختفون وراءه ومن مضمون تلك المناقشات والتي اتت بعدها ، هناك ثلاثة اسئلة :

- ١ - هل يقدر رجل واحد على سكب كل جمال وحقيقة في قصائد ومسرحيات شكسبير ؟ وكيف استطاعت حكمة حياة واحدة قصيرة الاجل أن تبرهن على صلتها الوثيقة بكل الحيوات والعصور المتتابة ؟
- ٢ - اذا استطاع رجل واحد ان يفعل هذا ، ألم يكن هذا رجلاً مثقفاً وممتازاً واعلى من عصره ؟ ولم يكن هذا رجلاً قريباً من مقاعد

(١) فرنسس بيكون - ولد في لندن سنة ١٥٦١ وتوفي سنة ١٦٢٦ وكان سياسياً مفكراً ومن أشهر أدباء وكتاب عصره ، وقد عاصر شكسبير طوال حياته ، ولد قبله بثلاث سنين وتوفي بعده بعشر سنين .

(٢) في المقال حديث عن فرنسس بيكون ، ومارلو ، وسير والغرالي ، وغيرهم واحتمال نسبة بعض أعمال شكسبير الى كل واحد منهم .

سلطة الحاكين وخبيراً مطلعاً على آداب ولغات البلاد الاخرى ؟

٣ - هل لدينا دليل على رجل تقليدي ممثل مسرحي مولود في الريف

من ستارتفورد - مسقط رأس شكسبير - له كل هذه الكفايات ؟ [.

هذا هو مثال واحد ، اطلنا فيه للدلالة على ما يلاقيه بعض

المحظوظين الذين ينالون الشهرة والمجد ، حتى اذا سار الزمن وتكشفت

الحقيقة ، ربما اهتزت تلك الشهرة وانثلم ذلك المجد .

ومن سوء طالع مغلد الموصلني أنني اتحدث عنه الآن في زمن طغى

فيه الشعر الحديث وقد كثر ناظموه وناشروه ، وظهر العيبون

والمقللون من قيمة الشعر التقليدي . وربما يرى البعض أن الحديث عن

شاعر مثل مغلد الموصلني - وقد مضى عليه مائتا والف سنة - هو عبث

وإجترار ، وإحياء لشيء قد مات وفات وعفى عليه الزمن . لكن

مغلداً الموصلني شاعر ، لديه موهبة وفن . ومن عانى الشعر وحمل همومه

ومتابعه لا يرضى أن يذهب - هو أو من كان مثله - مع الريح

كان لم يكن .

ومن غريب ما حدث لمغلد الموصلني ، أن الذين توسّعوا في الحديث

عنه هما إثنان :

أولهما : ابو بكر التصولي ٣٣٥هـ - ٩٤٦م في كتابه (اخبار أبي تمام)

وثانيهما : ابو زكريا الازدي الموصلني ٣٣٤هـ - ٩٤٥م في كتابه

(تاريخ الموصل) .

أما ابو بكر التصولي فقد تحدث عن مغلد الموصلني وعلاقته بالشاعر

أبي تمام الطائي وهجائه أبا تمام ، ولم يذكر لنا غير شعره في الهجاء ،

لكنه^(١) لتعصبه لابي تمام كان يغمز بمخلد في كل مناسبة محاولاً الانتقاص منه ، لذلك فقد كانت لنا وقفة مع الصولي في آخر هذا الكتاب لظهار الحقيقة كما نراها .

وأما ابو زكريا الازدي الموصلي فقد جعل كتابه (تاريخ الموصل) في ثلاثة اجزاء ، ضاع منها الجزءان : الاول والثالث ، وبفقدان الجزء الثالث ضاع علينا ما بقي من شعر مخلد ومن اخباره . ثم إن محقق الجزء الثاني من (تاريخ الموصل) لم يجد نسخة ثانية من الكتاب ولم يجد مصدراً آخر يذكر فيه شعر مخلد ليستطيع المقارنة ويضبط النص الشعري - والنسخ يصحفون ويحرّفون ، وقد زادوا كلمات وحذفوا بعضها - لذلك فقد ترك المحقق كلمات كثيرة بدون شرح لغموضها ، وشرح بعضها كما يراها ، وقد لا تكون المعاني مناسبة ، ورسم كلمات بالصورة التي توافق الوزن وبقي المعنى غامضاً ، او توافق المعنى ولكن البيت مكسور . لذا ففي مثل هذه الحالات كنت انتقل البيت كما جاء في الكتاب وأضع (خطأ) تحت الكلمة التي تحتاج الى شرح او تفسير ، ثم اعود الى الحاشية فأصحح ما أراه خطأ واقارن بين ما شرحه المحقق وبين ما أراه صواباً ، واترك للقارئ حرية الاختيار . واذا وجدت بيتاً مكسوراً غير موزون أقوم بتصحيحه ذاكراً (البحر) الذي هو منه . ومثال ذلك قصيدة مخلد الموصلي التي قدمها الى والي الموصل (مالك بن

(١) يستدل نقاد الأدب القدامى والمحدثون على تعصب الصولي لأبي تمام بما جاء في كتابه (اخبار أبي تمام) ومن الرسالة التي كتبها الصولي الى أبي الليث مزاحم بن فاتك ، وقد جعلها محققو الكتاب في المقدمة عند طبعه كمدخل الى الكتاب ومقدمة له .

طوق) يشكو فيها مظلمته ، فقد جاءت مضطربة ، فيها اخطاء مطبعية لم تصحح ، وكلمات غريبة لم تشرح واييات مكسورة غير موزونة لم يقوّم وزنها ، وقد آثرت أن اجتهد في كل هذا على أن اتركها على حالها وليس في الترك فائدة . وقد اجتاحت كل هذا الى بعض الاطالة احيانا في الشرح .

وفي الحديث عن الشاعر - كل شاعر - لابد من توضيح نشأته وظروفه والحياة التي عاشها ، ومجتمعه الذي نشأ فيه ، والاحداث التي مرت به ، والتجارب التي عاناها ، وكل ما أثر فيه فكوّن شخصيته وذوقه ومزاجه وثقافته . وقد قمت بكل هذا بما لدي من مصادر ، ولو كانت محدودة .

ثم حاولت في قصائد المدح والرثاء والهجاء أن اشرح حالة الممدوح والمرثي والمهجو لتكون الصورة واضحة ، وليطلع القارئ على مدى صدق الشاعر فيما يقول ، لأن القصيدة تفقد معناها وقيمتها اذا كانت لجهول لا يعرف القارئ عنه شيئا . ورجعت الى آراء نقاد الادب القدامى في المدح والرثاء ، انقلها عنهم ليأخذ القارئ بموازينهم في عصورهم لا بموازيننا في هذا العصر ، في الحكم على شعر مغلد .

وتوسعت في فن الهجاء وذكر آراء النقاد القدامى والمحدثين في هذا الفن ، لأن الهجاء نقد ، اذا خلا من الفحش والشتائم والحقد ، ولأن الشاعر الهجاء رجل نقاد في رأسه مثل أعلى اذا لم يبتعد عن سواء السبيل .

ومغلد الموصلي شاعر فنان في هجائه أبا تمام الطائي ، وقد اعترف

بفنه أبو بكر الصولي على الرغم من تعصبه لأبي تمام وهجومه على
خصومه ونقّاده .

وهجاء مخلد - عدا قطعة واحدة - بعيد عن الفحش ، لطيف
ظريف ، فيه دعاة وسخرية ، وفكاهة وهزل ، وعبث بأبي تمام الشاعر
وفيه صناعة دقيقة جاءت عن طبع لا عن تكلف . وهذا فن لم يكن
معروفاً عند الشعراء المهجّاتين في العصر الجاهلي والاموي ، وهو فن
(الكاريكاتير) الذي سيجده القارىء .

وبعد فمخلد شاعر مغمور مظلوم ، ولعلي بكتابي هذا اكون قد
ازلت عنه بعض الغبار الذي غمره والظلم الذي لحق به مدة تقرب من
اثني عشر قرناً ، وهذا زمن طويل وطويل !!

محمود الجور

مُخَلَّد الموصلي

هو مَخْلَدٌ^(١) بنُ بَكَارِ الموصلي - ومُخَلَّدٌ بمعنى الخلود، وبَكَارٌ : صيغة مبالغة من التبكير والاسراع الى الشيء - ولا نعرف من نسبه واصله غير هذا ، وكل من تحدث عنه من مؤرخي الأدب ونقّاده ينسبه الى الموصل ويدعوه بـ (الموصلي) .

يقول ابو عبيد البكري ٤٨٧هـ - ١٠٩٤م في كتابه (سِمْطُ اللّآلِئِ)^(٢) : [ومُخَلَّدٌ هذا ، مولى للأزد ، وكان اذا غضب عليهم قال :

(١) ذكر محققو كتاب (اخبار أبي تمام) لأبي بكر الصولي ان اسمه [مُخَلَّد] اسم مفعول من الفعل (خلد) - بتشديد اللام - وجاء اسمه [مُخَلَّد] - بفتح الميم وسكون الحاء وتخفيف اللام وفتحها - في الكتب : تاريخ الموصل والاغانى وسمط اللآلئ والامالي وطبقات الشعراء . ومُخَلَّد : مصدر ميمي بمعنى (الخلود) والمصدر الميمي : صيغة قياسية تؤدي ما يؤديه المصدر في الدلالة على المعنى لكنها تفوقه في قوة الدلالة وتأكيدها . والعرب تسمى باللفظين وفي القاموس من مادة (خلد) اسم (مسلمة بن مُخَلَّد ، كمعظم ، صحابي) وفي اللسان [وقد سمى - الناس - خالداً وخويلداً ومُخَلَّداً وخليداً ومُخَلَّد] فالاسم بالصيغتين معروف ، ولا حرج من لفظه بهما ، لكن (مُخَلَّداً) أخف في اللفظ واقوى في المعنى وربما كان شائعاً بهذه الصيغة .

بَكَار - صيغة مبالغة من الفعل (بكر) أي اسرع الى الشيء وعجل

(٢) سِمْطُ اللّآلِئِ جـ ٢ ص ٧٦٧ . الازد - قبائل من اليمن القحطانيين ، =

إني مولى للحارث بن كعب ، فإذا غضب عليهم قال : أنا من عَنَزَةٍ من
انفسهم ، فإذا غضب عليهم قال : أنا امرؤ من الفرس] . وهذه الرواية
الوحيدة التي وجدناها إن صدقت - لأن بين مغلد والبكري أكثر من
مائتي سنة ومغلد موصل والبكري اندلسي وآفة الاخبار روايتها - تدلّ
على ضياع اصله ونسبه .

ويحدثنا ابو بكر الصولي بقوله ^(١) [إن اصل مغلد من الرُّحبة ثم
اقام بالموصل] .

ومغلد في هجائه الشاعر الموصل (كامل الموصل) يقول ^(٢)
وانما المرءُ ابنُ عَمِّ لَنَا ونحن من كوثى ومن بابل
وكوثى ^(٣) : موضع بسواد العراق من أرض بابل . ويظهر أن اسرته
انتقلت الى الموصل مع القبائل التي وفدت عليها من هذه المنطقة التي
تعرف الآن بمحافظة بابل أو لواء (الحلة) سابقاً .

ويظهر كذلك أن اسرة مغلد بن بكار كانت معروفة في الموصل ،
فقد ظهر فيها شاعر آخر هو (كامل الموصل) ابن عم مغلد ^(٤) [وكان
يجلس في المسجد الجامع يُقرئ الشعر] وهو الذي هجاه مغلد بقصيدة
منها (البيت) الذي ذكرناه سابقاً .

= ومنهم الخزرج وقد كان لهم شأن كبير في الموصل . الحارث بن كعب - قبيلة
من كهلان من القحطانيين سكنت الموصل . عنزة - من القبائل العدنانية .

(١) اخبار أبي تمام ص ٢٣٤ . الرحبة : قرية بجذاء القادسية على مرحلة

من الكوفة - معجم البلدان ج ٣ ص ٣٣ .

(٢) كتاب الامالي ج ٢ ص ١٤٢ .

(٣) معجم البلدان ج ٧ ص ٢٧١ .

(٤) الامالي ج ٢ ص ١٤٢ .

وعلى هذا فلا نستطيع الجزم بأن مغلد بن بكار انتقل الى الموصل
كما جاء في رواية الصولي أو أنه ولد فيها ، ورواية الصولي مشكوك فيها
- كما سنتحدث عنها - .

ثم إن مغلداً هجا الشاعر أبا تمام الطائي ساخراً هازلاً عابثاً به لأنه
يدعي أنه من قبيلة (طيء) من العرب العاربة القحطانيين ، وهو
ليس عربياً وليس من هذه القبيلة .

ونحن أمام رأيين :

أولهما : أن يكون مغلد بن بكار مولى ولكنه يعتز بأصله ،
ولم يكن مائعاً فينسب نفسه الى العرب والى قبيلة لها شأنها ومكانتها ،
لذلك هجا أبا تمام على سلوكه .

وثانيهما : أن يكون مغلد بن بكار عربياً أصيلاً ، ولولم يكن عربياً
أصيلاً ما جرؤ وما قدر على هجاء أبي تمام بشيء هو فيه من صلته بغير
العرب ، وعلى تعييره بأنه (نَبَطِي)^(١) والانباط كثيرون في العراق
ومنهم في (كوثى والرحبة) .

ثم ان كلمة (مولى) التي وردت في رواية البكري عن مغلد جاءت
في معجم اللسان بمعان كثيرة منها [المولى : الحليف وهو من انضم
اليك فعز بعزك وامتنع بمنعتك - وهذا اكثر ما تعنيه كلمة مولى - .
والمولى : الناصر والتابع والمحب والصديق والصاحب والقريب
والشريك والعبد ...] .

(١) النبط - جيل من الناس كانوا ينزلون بين العراقيين - الكوفة
والبصرة - والشام ثم استعمل في اخلاط الناس وعوامهم .

ومهما يكن من شيء فإن مَخْلَدَ بْنَ بَكَّارٍ قد نُسبَ إلى الموصل ،
وأول ما عرفنا من أخباره وشعره كان في الموصل ، وقد عاش فيها طوال
ما عرفنا من أخباره .

وكان مَخْلَدُ دائم الإقامة في الموصل ، ولم يبارحها بدليل ما رواه أبو
زكريا الأزدی الموصلي من أخبار مَخْلَدُ في كتابه^(١) [تاريخ الموصل] .
وربما كانت له مهنة يعيش منها فلم يغادرها ، لذلك قلَّ اجتماعه بشعراء
زمانه ، ولم يتكسب بشعره كما فعل غيره . ولم نجد من المصادر ما يشير
إلى أنه مدح للكسب أو طرق الأبواب أو ركب الاسفار للحصول على
المال ، عدا مرة واحدة مدح فيها الخليفة^(٢) (المعتصم) - وقد ضاعت
القصيدة - ومرة ثانية شكّا بشعره مَظَلَمَةٌ له لوالي الموصل^(٣)
[مَالِكُ بْنُ طَوْقٍ] .

ومدحُ الخليفة كان من تقاليد الشعراء وقتئذ ، وقد يكون هذا
المدح إعترافاً بالولاء لا رغبة في التكسب ، ومن طباع رجال الحكم
الجودُ وملء أفواه المادحين ، لهذا خمل ذكر مَخْلَدُ . ولولا مجيء أبي تمام
الطائي إلى الموصل واجتماعه بمَخْلَدُ وهجاء مَخْلَدُ له ما كان بعض مؤرخي
الأدب يذكره بشيء .

ثم إننا لم نجد ذكراً لسنة مولد مَخْلَدُ وسنة وفاته ، لكن أبازكريا
الأزدی الموصلي في كتابه (تاريخ الموصل) يذكر أن مَخْلَدَ بْنَ

(١) وجدنا في كتاب (تاريخ الموصل) - الجزء الثاني - معظم ما نقلنا
من أخباره وشعره .

(٢) طبقات الشعراء ص ٢٩٨ .

(٣) تاريخ الموصل ج ٢ ص ٣٩٦ .

بَكَارِ الموصلي مدح سليمان بن عُمران لأنه أبلَى بلاء حسناً اشتهر به
في وقعة (الميدان) التي كانت في الموصل بين القبائل اليمنية والزارية
سنة ١٩٨ هـ - ٨١٣ م . ومما جاء في القصيدة :^(١)

وَلِيَوْمَ الْمِيدَانِ مِنْهُ ثَنَاءٌ

لَا تُعَفِّيه فِي الْحَيَاةِ الدُّهُورُ^(٢)

يَوْمَ آتَتْ بَنُو زَهَيْرٍ حِمَاً

وَرَحَى الْحَرْبِ بِالْمَنَايَا تَدُورُ^(٣)

فَتَلَقَّاهُمْ بِبَاسٍ وَجَاشٍ

وَيَدٍ سَمْحَةٍ نَدَاهَا يَمُورُ^(٤)

وَبِرْجَلَيْنِ لَمْ يُبَاشِرْهُمَا إِلَّا (م)

مُصَلَّى وَمِنْبَرٌ وَسَرِيرُ^(٥)

أَوْ نِزَالٍ لَدَى الْكُمَاةِ إِذَا مَا

ضَاقَ لِلْكَرِّ مَسْلَكَ مَهْجُورُ^(٦)

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٣٣ .

(٢) تعفيه - تمحوه .

(٣) بنو زهير : إسم عشيرة . الحماة : جمع الحامي وهو المانع والمدافع .

(٤) البأس : الشجاعة ، القوة . الجاش - القلب ، يقال : رابط الجأش

أي شجاع : اليد السمحة : كناية عن كثرة العطاء والنعمة . الندى - الجود
والفضل والخير . يمور - يتحرك بسرعة .

(٥) البيت مدور وكلمة (إلا) مشتركة بين الشطرين ، والبيت من بحر
(الخفيف) . السرير - يقصد به سرير الملك والعز والجهد .

(٦) النزال - المقابلة والمقاتلة في الحرب . الكواة - جمع كمي وهو =

فالقصيصة وما فيها من اسلوب وشكل ومضمون ، تدل على أن مخرلاً كان مكرمل النضج سنة ١٩٨ - ٨١٣ م وهذا لا يكون في اعتقادنا إلا اذا كان الشاعر في أواخر العشرينات من عمره ، وعليه فرما كانت ولادته حوالي سنة ١٧٠ هـ - ٧٨٦ م . ولعل هـذا الاستنتاج هو اقرب ما يمكننا من تحديد سنة مولده .

أما وفاته فن المؤسف أن الجزء الثالث من كتاب (تاريخ الموصل) للأزدي الموصلي لا يزال مفقوداً ، وهو يبدأ بأخبار سنه ٢٢٥ هـ - ٨٣٩ م ولو حصلنا عليه لكننا نعلم سنة وفاته ، لأن الأزدي يذكر الوفيات في كل سنة . أما ابن الأثير المؤرخ - وهو موصلي - فلم يذكر لنا في كتابه (الكامل) شيئاً عنه .

لكن أبا بكر الصولي يقول : ^(١) [قال عَوْْنُ بنُ محمد الكِندي : اخبرني مخرل الموصلي أن أبا تمام مات بالموصل في المحرم سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ٢٣٢ هـ - ٨٤٦ م] وعلى هذا فإن مخرلاً حضر وفاة أبي تمام في الموصل ، وبذلك يكون قد عاش بعد هذا التاريخ ، ولكنه كم عاش بعده ؟ وعليه فإن اقرب ما يمكننا استنتاجه هو أن مخرلاً ولد حوالي سنة ١٧٠ هـ - ٧٨٦ م وتوفي بعد سنة ٢٣٢ هـ - ٨٤٦ م وقد جاوز الستين عاماً .

= الشجاع أو لابس السلاح . الكر - يقال كر الفارس على العدو أي حمل وإنقض عليه . المسلك - الطريق .

(١) أخبار أبي تمام ص ٢٧٠ .

الموصل

بين سنتي ١٧٠ هـ - ٢٣٢ هـ

٧٨٦ م - ٨٤٦ م

هذه الفترة الزمنية تشمل خلافة الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم حتى نهاية خلافة الواثق . وقد عاش تَحْلَدُ الموصلِي مقيماً في الموصل بين هاتين السنتين . والموصل في هذه الفترة كانت قد توسعت وسكنتها قبائل عديدة ، وتطورت فيها الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، وحدثت فيها أحداث قبلية وسياسية ، ومرت بها الجيوش الغازية ، ونزلها الخلفاء والقواد ومعهم جيوشهم لغزو الروم أو للقضاء على الفتن في أرمينيا وأذربيجان وغيرها . لذلك فقد كانت الموصل مزدهمة بالأحداث وكلما حاولنا الاختصار في الحديث عثرنا على حادث مهم لا يمكن إغفاله لقيمته وأثره .

ومحمد الموصلي ، كشاعر ، تؤثر فيه نواحي الحياة المختلفة ، ويتفاعل معها وينصهر فيها ، ويتكون بسببها مزاجه وذوقه الأدبي واتجاهه القبلي والسياسي . لذلك فلا بد لنا من شرح هذه النواحي لعلنا نستطيع التحدث عنه وعن شعره والمناسبات التي نظم فيها حديثاً قريباً من واقعه الذي كان عليه .

الموصل تقع على الضفة اليمنى من نهر دجلة من شمال العراق ، وعن يمينها سهول خصبة تسقط عليها الامطار خريفاً وشتاءً وربيعاً فتكثر فيها المراعي والزرع . وعن يسارها سهول خصبة تحدها الجبال ، ومناخها تظهر فيه الفصول الاربعة بكل وضوح ، شتاؤها بارد وصيفها حار ، وخريفها وربيعها معتدلان متشابهان ، لذلك نعتوها قديماً بـ (أم الربيعين) .

وبعد الفتح الاسلامي سنة ١٦ هـ - ٦٣٧ م توسعت الموصل فجاءتها القبائل القحطانية والعدنانية واصبحت مستراح الجيوش التي تذهب غازية بلاد الروم وأرمينيا وأذربيجان . وبين الموصل وبغداد (٤٠٠) كيلو متر وبينها وبير بلاد الروم مثل هذه المسافة وتريد ، وبينها وبين أرمينيا وأذربيجان طرق وعرة وجبال منيعة ، وكانت الجيوش يومئذ تقطع هذه المسافة بمراحل عديدة شاقة .

لذا فقد توسعت الزراعة وراجت التجارة وبدأت الصناعة تنمو بسبب نمو الزراعة والتجارة وكثرة السكان وتعدد الحاجات ، وبذلك تطورت الحياة الاجتماعية بتأثير الرفاه الاقتصادي وتوفير العمل ، وطبيعة الموصل وخيراتها الكثيرة مشجعة لكل هذا ، ونهر دجلة خير مساعد .

ويذكر لنا الأستاذ جرجي زيدان في كتابه (تاريخ التمدن الاسلامي) ثلاث^(١) قوائم لجباية الدولة العباسية في بعض سنوات هذه

(١) ج ٢ ص ٥١ : القوائم الثلاث هي : قائمة ابن خلدون وقائمة قدامة ابن جعفر وقائمة ابن خرداذبة .

للفترة ، وأقدمها قائمة (ابن خلدون) ٨٠٨ هـ - ١٤٠٦ م وبما جاء فيها أن جباية الموصل في ^(١) [أيام المأمون (٢٤) مليون درهم و (٢٠) ألف رطل عسل] وكان ما يُجبي من الموصل وما يليها من أعمالها كما جاء في هذه القائمة هو (ستة في المائة) مما يجبي من كل البلدان الإسلامية : من شمال أفريقيا حتى حدود أرمينيا وأذربيجان وخراسان وسجستان . والموصل تأتي في ترتيب مبلغ الجباية بعد منطقة الجزيرة الفراتية وخراسان وسواد العراق وفارس والأهواز .

صلة المواصل بال خلفاء العباسيين :

كان للمواصل - وهم مجموعات كبيرة من القبائل القحطانية والعدنانية - شأن مع الخلفاء العباسيين ، فحينما يخرجون عليهم ويستقلون بأمرهم أو يتعاونون مع الخوارج ضدهم ، وحينما يتعاونون معهم فيكون منهم الوالي والقائد والقاضي وجابي الخراج ، لذلك فقد كان الخلفاء يختارون أشد الرجال حزماً وقوة ودهاء ليكونوا ولاية الموصل ففي خلافة الرشيد مثلاً من سنة ١٧٠ هـ - ٧٨٦ م الى سنة ١٩٣ هـ - ٨٠٨ م كان عدد الولاية ^(٢) (ستة عشر) والياً ، منهم : عبد الملك ابن صالح العباسي وهرثمة بن أعين ويزيد بن مزيد الشيباني القائد المشهور .

وكان الرشيد اذا وجد والياً أو قاضياً ينسجم مع المواصل ، عزله ولو كان من أعف الناس ^(٣) [يعزل هارون في سنة ١٨٠ هـ - ٧٩٦ م

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٥١ .

(٢) أنظر فهرس الولاية في كتاب تاريخ الموصل ج ٢ ص ٤٩٥ .

(٣) تاريخ الموصل ج ٢ ص ٢٨٨ .

اسماعيل بن زياد القاضي ، على سُخْطٍ منه عليه ، وزعم أن هواه - مع أهل الموصل وكان اسماعيل بن زياد متعقفاً حسن السيرة ، وكانت له رواية الحديث ... وكتب الناس عنه بالموصل] .

وفي خلافة الرشيد ايضاً ، يحدثنا أبو بكر الأزدي الموصلي ، في حوادث سنة ١٧٧ هـ - ٧٩٣ م^(١) [تحالف العُطَافُ بن سُفْيَان الأزدي على هارون ، وكان من فرسان أهل الموصل ، واجتمع اليه صعاليك البلد فجبي الخراج وحبس العمال وأقام على هذا سنين ، حتى خرج الرشيد الى الموصل فهدم^(٢) سورها بسببه] وكان ذلك سنة ١٨٠ هـ - ٧٩٦ م وفي خلافة الأمين^(٣) [لما ضعف أمر السلطان وقتلت الحماية ، اجتمع أهل الموصل على علي بن الحسن الهمداني - الموصلي - ليشرف على أمر البلد ويحوط اطرافه] وكان ذلك ١٩٥ هـ - ٨١٠ م .

وفي سنة ١٩٧ هـ - ٨١٢ م^(٤) [خطب الحسن بن عمر بن الخطاب العَدَوِيّ الموصل من محمد الأمين - الخليفة - فقلّده إياها فأتى الموصل في جمع عظيم فبلغ علي بن الحسن الهمداني أمره ، وكان البلد في يده ، فامتنع من ولايته ... فلم يزل الحسن بن عمر يكاتب بني الحسن

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٧٩ . يحدثنا الأزدي ص ٢٨٤ عن مجيء الرشيد الى الموصل وكيف حلف أن يقتل أهلها جميعاً ، ووساطة أبي يوسف القاضي الانصاري لتبرير قسم الرشيد .

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٢٥ : بنى سور الموصل محمد بن مروان أخو الخليفة عبد الملك بن مروان عندما تولى الموصل سنة ٨٠ هـ - ٦٩٩ م .

(٣) تاريخ الموصل ج ٢ ص ٣٢٤ .

(٤) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٢٦ .

- الهمدانيين - ووجوه الناس الى أن أجابوه الى الدخول] . وهكذا كان المواسلة لا يستدلون لكل وال .

وفي خلافة المأمون ظهر (مهدي بن علوان الشَّاري الخارجي) سنة ٢٠٢هـ - ٨١٧م وذلك عندما دبَّ الخلاف بين علي بن الحسن الهمداني وقومه الهمدانيين وبين الأزد ، - وكلهم من اليانيين - كاتَّبَ علي بن الحسن خارجياً يقال له مهدي بن علوان الشَّاري ^(١) [فوافاه في خلق كثير فأدخله الموصل وكانت خيل مهدي الشَّاري وأصحابه تدور في المسجد الجامع والمهدي صلى الجمعة بالناس وخطب على المنبر ودعا لنفسه] .

وفي سنة ٢٠٥هـ - ٨٢٠م طلب ^(٢) (زَرْيَقُ بن علي بن صَدَقَة الأَزْدِي الموصلي) من المأمون أن يوليَّه أرمينيا وأذربيجان ليحارب (بَابَكَ الخُرَّمِي) فولاه المأمون ، وجمع زَرْيَقُ رجاله وكتب الى عشائره بالموصل وأعمالها واستنجدهم ، فوافاه منهم خلق كثير ، ثم تقدم لمحاربة (بَابَكَ) ، لكن الشتاء بيرده وثلجه ، ثَقُلَ على أصحابه فلم يقدر على محاربته .

وفي سنة ٢١٣هـ - ٨٢٨م تقدم محمد بن حَمِيدِ الطُّوسِي الطائي لمحاربة (بابك) وجمع له جيشاً كبيراً كان منهم أهل الموصل . ويقول ابو زكريا الأزدِي ^(٣) [اخبرني محمد بن اسحق عن أشياخه قال : سئل محمد بن حَمِيد عن رجال الموصل فقال : إن فيهم ألف فارس لو لقيت

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٤٤ .

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٥٦ .

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٩١ .

بهم الروم لأبست بهم ، وفيهم الف فارس ما للعرب مثله [.

وفي سنة ٢١٥ هـ - ٨٣٠ م خرج^(١) المأمون يريد غزو الروم لأنهم ساعدوا بابك الخرمي ، فوافى الموصل في شهر المحرم من هذه السنة ، وأقام بها ودخل بلاد الروم وفتح حصن (قرّة) .

وفي خلافة المعتصم سنة ٢٢٣ هـ - ٨٣٧ م^(٢) حارب المعتصم الروم وفتح (عمورية) ، وفي طريقه نزل الموصل ورحل منها .

أما في خلافة الواثق فلم نجد من المصادر ما يشير الى حادث مهم في الموصل وهكذا كانت صلة المواصلة بالخلفاء العباسيين .

الصراع القبلي :

أما القبائل العربية التي سكنت الموصل ، فقد جاءت بعد الفتح الاسلامي سنة ١٦ هـ - ٦٣٧ م من كل جانب ومعها عصبيتها وخلافتها وتقاليدها المختلفة .

فمن القحطانيين^(٣) - وهم العرب العاربة اليمانيون - جاءت : قضاة ومذحج وهمدان وطبيء وأخزم والأزد . ومن الأزد جاء الخزرج وبنو مالك بن قهمر .

ومن العدنانيين - وهم العرب المستعربة - جاء اليزاريون ومنهم :

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٩٩ .

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٤٢٧ .

(٣) هذه القبائل العدنانية والقحطانية ذكرها كلها وذكر رجالها أبو زكريا

الأزدي في كتابه (تاريخ الموصل) - راجع فهرس القبائل ج ٢ ص ٤٧٨ - وقد رتبناها معتمدين على كتاب (الوسيط) ص ٨٠٧ .

مَضَر ، ومن مضر جاءت : كِنانة وتميم وقيس عَيْلان ، ومن قيس جاءت : باهِلَة وُسَلَيْم وبكر وتغلب وشَيْبان .

وعند اجتماعهم بدأت الخلافات والعصبيات بين القبائل القحطانية والعدنانية ، والقحطانية باسم (اليمانية) والعدنانية باسم (اليزارية) . وكانت السيطرة على المدينة منابذة بين الجانبين ، مرة لليمانية وأخرى لليزارية وذلك تبعاً لتقربهم من الخليفة أو من ولاته أو تعاونهم معه في الحوادث ، وأحياناً يحاول الولاة بثّ الفتنة بين الجانبين ليصفو لهم الجو .

ففي خلافة الرشيد سنة ١٨٣ هـ - ٧٩٩ م ولي الموصل أحمد بن يزيد السُّلَمي^(١) [فرأى اليمانية في البلد اظهر من اليزارية فتعصب على اليمانية] وأراد أن يدبّر مؤامرة يستذلّ بها اليمانيين ، فعلموا بذلك وخرجوا عليه وجرحوه .

ثم تعاظمت الفتنة بين اليمانيين واليزاريين ، ففي سنة ١٩٣ هـ - ٨٠٨ م كان والي الموصل^(٢) الحسن بن صالح الهمداني الموصلّي - وهو من اليمانيين - وعندما خرج الى بعض نواحي الموصل اجتمعت عليه عَنزَة - وهي من اليزارية - فقتلته ، ثم قام ابنه علي بن الحسن وأغار على عنزة وقتل منهم خلق كثير .

وفي خلافة الأمين وضعف الدولة ١٩٨ هـ - ٨١٣ م^(٣) [كانت الموقعة

(١) تاريخ الموصل ج ٢ ص ٢٩٥ .

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٣١٣ .

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٣٢ .

المعروفة (بالميدان) بين اليمانية والنزارية [وهي من أسوأ الحروب
وافظعها في الموصل .

وفي خلافة المأمون سنة ٢٠٢ هـ - ٨١٧ م دبّ الخلاف بين اليمانيين
انفسهم ، فقامت بين علي بن الحسن السَّهْمْداني الموصلي وبين الأزْد
- من اليمانيين ايضاً - حرب قتل فيها علي بن الحسن ومعه اهل بيته ،
وتغلَّب الأزْد بقيادة ^(١) (السَّيِّد بن أنس التليدي) : [فقدّمته
الأزْد وتولى أمر البلد ودعا للمأمون وانتظم أمره ، فكان على ذلك يجي
المال ويعطي الرجال ويحمي البلد الى أن قدم المأمون ببغداد من خراسان
فانحدر اليها] . وفي هذه السنة تولى الموصل السَّيِّد بن أنس وبقي والياً
عليها حتى سنة ٢١١ هـ - ٨٢٦ م .

وفي سنة ٢١١ هـ - ٨٢٦ م قُتِل السيد بن أنس ، في خلافة المأمون ،
في حربه مع زُرَيْق بن علي بن صَدَقَة الأزدي الموصلي ، وهو من
قبيلة السيد بن أنس نفسها ، وكان مخلصاً معجباً بالسيد بن أنس وله فيه
مرثية حزينة .

وفي أواخر هذه السنة تولى الموصل محمد بن ^(٢) حَمِيد الطوسي
الطائي ، فاهتم بحرب زُرَيْق بن علي بن صَدَقَة الذي قتل السيد بن
أنس ، وخرج عليه ومعه جماعة من ابناء السيد ، وكلا الطرفين

(١) يذكر أبو زكريا امم السيد بن أنس مرة بأسم السيد بن أنس التليدي
ومرة ثانية بأسم السيد بن أنس البحمدي الأزدي ، وثالثة بأسم السيد بن أنس
فقط ، والأسماء كلها لشخص واحد .

(٢) تاريخ الموصل ج ٢ ص ٣٤٦ .

(٣) تاريخ الموصل ج ٢ ص ٣٧٨ .

المتحاربين من اليمانية ، فدارت الدوائر على زَرْيَقَ بن علي وجماعته .
وفي سنة ٢١٢ هـ - ٨٢٧ م الى سنة ٢٣٢ هـ - ٨٤٦ م لم نجد ما حدث في
الموصل بين القبائل ، لأن الجزء الثالث من كتاب (تاريخ الموصل)
لا يزال مفقوداً . وابن الأثير - وهو موصلي - لم يذكر لنا شيئاً عنها في
كتابه (الكامل) .

هذه الاحداث تأثر بها كلها مغلد الموصلي ، وله في رجالها وفرسانها
مدائح ومراثٍ ، وله فيهم معظم شعره الذي وصلنا .

الحالة العلمية :

بجانب هذه الثورات والفتن والحروب كان في الموصل حركة علمية
تشمل : النحو والحديث والفقه وقراءات القرآن واللغة .

فعلم النحو نشأ في الموصل منذ مجيء [مَسْلَمَةَ بن عبد الله بن
مُحَارِب] الى الموصل . يقول اللّـيوطي^(١) [كان مَسْلَمَةَ بن عبد الله
ابن محارب اليفهري من أئمة النحو المتقدمين وصار في آخر
عمره مؤدباً لجعفر بن أبي جعفر المنصور ، مضى معه الى الموصل وأقام
بها حتى مات فصار علم اهل الموصل من قبَلِهِ] .

فاذا علمنا أن أبا جعفر المنصور^(٢) [ولى ابنه جعفرأ الموصل
سنة ١٤٥ هـ - ٧٦٢ م] فتكون هذه السنة مبدأ ظهور النحو كعلم يدرس
في الموصل على المذهب البصري ، لان أبا بكر الزُّبَيْدِي في كتابه
(طبقات النحويين واللغويين) يعده^(٣) [من الطبقة الرابعة من

(١) كتاب (بغية الوعاة) ج ٢ ص ٢٨٧ .

(٢) تاريخ الموصل ج ٢ ص ١٩٤ - راجع فهرس ولاية الموصل ص ٤٩٤ .

(٣) ص ٤١

النحويين البصريين] .

والنحو أداة الاديب والعالم ، لا يستقيم اللسان والقلم إلا به ، وكان من صفات الاديب والعالم (أن يأخذ من كل علم بطرف) ، واللغة العربية وحدة لا تتجزأ ، فالفقيه أو المحدث يجب أن يعلم الكثير من النحو واللغة والشعر ليدرك بلاغة القرآن وإعجازه ، وما في الحديث من روعة وبلاغة وما في النحو واللغة من منطق واشتقاق الخ ...

وقد شغل الحديث المواصلة كثيراً فظهر منهم - في هذه الفترة - علماء زهاد اتقياء ، فيهم من أخذ الحديث عن التابعين وفيهم من رمل في طلب اللغة والحديث . وكثير من المواصلة كتبوا الحديث ودرسوه على هؤلاء العلماء .

ويحدثنا ابو زكريا الازدي في (تاريخ الموصل) عن عدد كبير من علماء الحديث المواصلة الذين زهدوا في الدنيا ولم يشاركوا في عصبية أو فتنة بل كانوا القدوة الصالحة والمرجع في التصافي وإزالة العداوات . وكان ابو زكريا نفسه من رجال الحديث ، فألف كتابه في (طبقات المحدثين) ذكر فيه المحدثين المواصلة وغيرهم^(١) [ولهذا الكتاب شهرة كبيرة وذكر في كتب المتأخرين ، ويعتبر مرجعاً هاماً للمؤلفين] ولكنه مفقود مع الاسف الشديد .

الحالة الادبية :

أما الشعر ، فتلك الثورات والفتن والعصبيات ، وهذه الحركة العلمية والفقهية ، وطبيعة الموصل الجميلة - والشعر من طباع العربي

(١) مقدمة كتاب تاريخ الموصل ج ٢ ص ١٥

إذا تعلم وتثقف أو ثار وتمصب وحارب - فقد كان الشعر في مستوى الأحداث حتماً ، لكن المهم في الأمر هو أن الموصل لبعدها عن بغداد ومراكز الحضارة الأخرى ، وعدم تكسب الشعراء وتقربهم من الخلفاء ورجال الدولة في بغداد وغيرها ، واغفال مؤرخي الأدب لما انتجوه ، كل هذا جعلنا نفقد الكثير الكثير من أسماء الشعراء وشعرهم . ولولا صلة مخلد بن بكار الموصلي بأبي تمام الطائي وهجائه له ، ما وجدنا من شعره إلا القليل الذي لا يطينا فكرة صحيحة عنه وعن شعره .

ومع ذلك فإن أبا زكريا الأزدي يذكر لنا بعض شعراء الموصل الذين أدركوا هذه الفترة التي نتحدث عنها أو عاشوا فيها وهم^(١) :
صقر بن نَجْدَة الأزدي ، وكان فارساً شجاعاً .

ومحمد بن الحسن الهمداني .

وسعيد الكوثري .

ومخلد بن بكار الموصلي - شاعرنا هذا - .

ومن الشاعرات : الشاعرة^(٢) أم محمد ابنة زريق بن علي بن صدقة . وقد روى لها قصيدة في مدح محمد بن حميد الطوسي والي الموصل عندما عفا عن أسرتها وأعاد اليهم ما لهم بعد ان وهبته الخليفة المأمون كل ما يملكون بسبب خروجهم وعصيانهم .

ويذكر لنا أبو زكريا الأزدي من شعر هؤلاء قصائد المدح والثناء في

(١) راجع فهرس الاعلام في تاريخ الموصل ج ٢ ص ٤٣٥ للاطلاع على شعر الذين سنذكرهم .

(٢) تاريخ الموصل ج ٢ ص ٣٨٢ .

الرجال الذين برزوا او قتلوا في الحروب والفتن ، وكان مـخـلد الموصلي
اكثر حظاً عند الازدي من غيره ، فقد ذكره في اكثر من موضع .
والشاعر الذي ينظم قصيدة تُروى وتذكر بعده ، في المدح أو الرثاء
مهما كان مستواها ، لابد من ان يكون قد نظم الكثير الكثير في
مناسبات عديدة حتى بلغ هذا المستوى ، لذلك فالشعر في الموصل قد
ضاع وعفى عليه الزمن .

مخلد تآثر بالاحداث

وبالحركة العلمية والأدبية

مَخْلَدُ الموصلي شاعر ، والشاعر تؤثر فيه الأحداث أكثر من غيره ، فهو بشعوره الحساس وسعة أفقه يدرك خطورتها واثرها في الحاضر والمستقبل . والشاعر مهما كان ملتزماً بمذهب سياسي أو عقائدي أو متعصباً لقبيلة دون غيرها ، فهو يكره الظلم ويثور عليه ، لأنه بطبيعته إنسان ، وللإنسان ضمير ، والضمير في الصدر شخص آخر رقيب حسيب لا يستطيع أن يتغافل عن وَخزاته وحسابه ليل نهار . وكان مخلد مرهف الإحساس جداً لا يسكت على خطأ أو ظلم ، لذلك كان له مزاج خاص ورأي في الأحداث ، ومزاج شعري قد يكون طريفاً . فهو كما يحدثنا البكري في كتابه (سِنَطُ اللآلئ) - وقد ذكرنا حديثه سابقاً - عن مخلد الموصلي بقوله [انه مولى للأزد ، وكان اذا غضب قال : إني مولى للحارث بن كعب ، فاذا غضب قال : أنا من عَنزة من انفسهم فاذا غضب عليهم قال : أنا امرؤ من الفرس] وغضبه هــذا وانتاؤه مرة الى اليمانية وأخرى الى اليزارية وثالثة الى الفرس لم يكن للتكسب أو لمن يدفع الثن الغالي ، ولكنه كان بجانب المظلوم غالباً .

فعندما حدثت الحرب في الموصل سنة ٢٠٢ هـ - ٨١٧ هـ - بين بني الحسن الهمدانيين ورئيسهم علي بن الحسن الهمداني وبين الازد

ورئيسهم السيد بن أنس الأزدي - وكلا القبيلتين من اليمانية - وتغلب
 الأزدي على اليمانيين^(١) [ورجعوا الى الموصل برؤوس بني الحسن] تألم
 مغلد الموصل لهذا الحادث الفظيع وهو يعلم فضل علي بن الحسن^(٢)
 وتقواه وورعه وطيب أصله ، فرثاد بقصيدة حزينة حاثاً بها بني الحسن
 على الاخذ بالثأر من الأزدي على الرغم من انتائهم اليهم وصلته القوية
 برئيسهم السيد بن أنس ، قال فيها^(٣) :

يَا طُلُولَ النَّدى عَلَيْكَ السَّلَامُ

كَلَّمِينَا وَأَيْنَ مِنْكَ الْكَلَامُ^(٤)

أَخْطَا الدَّهْرُ لَا سَلِمَ الدَّهْرُ (م)

وَجَارَتْ فِي صَرْفِهَا الْإَيَّامُ^(٥)

آلَ قَحْطَانٍ فَأَغْضَبُوا - غَضِبَ اللَّهُ (م)

عَلَيْكُمْ - مِثْلَ الْإِكْرَامِ وَحَامُوا^(٦)

^(٧) [فبلغ السيد بن أنس شعره فألى أن يقتل مغلداً وقال :
 لو حرّض على غير عشيرتي لم أحفل به] .

(١) تاريخ الموصل ج ٢ ص ٣٤٦ .

(٢) بحثنا أبو زكريا عن فضل علي بن الحسن وخلقه وتقواه ج ٢ ص ٣١٣ .

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٤٨ وسنذكر القصيدة كاملة .

(٤) الندى : الجود والفضل والخير .

(٥) جارت : ظلمت . صرف الأيام وصروفها : نوائها .

(٦) حاموا : فعل أمر من حامى أي مانع ودافع .

(٧) تاريخ الموصل ج ٢ ص ٣٤٩ .

وما وصلنا من شعر مغلد يدلنا دلالة واضحة على أنه كان دارساً حافظاً للشعر أكثر من نظمه ، وعلى أن أسلوبه و ثروته اللغوية لم تأت عفواً ، والزهرة لا تكون في نبتة ليس لها جذور .

ثم إن استعماله الاستعارة والكناية - من علم البيان - والبطاق والجناس والازدواج - من علم البديع - ربما كان دليلاً على وجود حلقة أو حلقات أدبية تتدارس الشعر في الموصل . وهذا ليس ببعيد مادامت دراسة النحو والحديث والفقه وقرءات القرآن نشيطة في الموصل . وفي ذلك العصر كان الاعتماد على الشعر كثيراً كمصدر لمعرفة فصاحة الكلمة وبلاغة التعبير^(١) . [وكان ابن عباس يقول : اذا قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه ، فأطلبوه في اشعار العرب فإن الشعر ديوان العرب . وكان اذا سئل عن شيء من القرآن أنشد فيه الشعر] .

ولم نعرف عن مغلد الموصلي - بما حصلنا عليه من شعره - الممجون والتهتك والإسراف في اللهو ، لأن بيئة الموصل القبلية والعلمية والدينية لا تساعد على الخروج على التقاليد المتعارفة ، والخارج عليها يلاقى الإهانة والازدراء ، لذلك عندما جاء أبو تمام الطائي الى الموصل - والمعروف عنه حبه الخمر والغلمان والتكسب بالشعر - هجاه مغلد هجاء طاعناً مؤثراً ، ولم يقل فيه كلمة طيبة ، حتى إن مغلداً رثاه بعد موته بهجاء مقذع .

(١) كتاب في علمي العروض والقافية ص ١٢ .

مزاجه وتلقيه بشاعر المنارة

يقول أبو علي القالي البغدادي ٣٥٦ - ٩٦٦ م في كتابه (الامالي)^(١) :
[حدثنا أبو بكر بن دُرَيْد رحمه الله ، قال : جلس (كَامِلُ الموصليّ)
في المسجد الجامع يُقَرِّئُ الشعرَ فصعد مَخْلِدُ الموصلي المنارة وصاح :

تَأْهَبُوا لِلْحَدَثِ النَّازِلِ

قَدْ قَرِئَ الشَّعْرُ عَلَى كَامِلٍ^(٢)

وكاملُ الناقصُ في عَقْلِهِ

لا يعرفُ العامَ من القابلِ^(٣)

يَهِيَّةٌ يُخْلِطُ الفَاظِلَ

كَأَنَّهُ بَعْضُ بَنِي وَائِلٍ^(٤)

(١) الأماي ج ٢ ص ١٤٢ .

(٢) تأهبوا - تأهب : تهيأ للأمر واستعد . الحدث - الأمر المنكر ،
المصيبة .

(٣) العام القابل - القادم والقريب . أي هو شخص لا يميز بين الاشياء .

(٤) يهية - في اللسان [يهيه بالإبل يهية أي دعاها وقال لها :
يا ياه يقول الراعي لصاحبه من بعد : ياه ياه أي اقبل ... واليهاء صوت
الراعي] يخلط - لعل صوابها (تخلط) أي إن الیهية التي تغلب على لهجة
رعاة الإبل تخلط الفاظه كأنه أعرابي من بني وائل - وهم بكر وتغلب - .

وَأَتَمَّا الْمَرْءُ ابْنَ عَمِّهِ لَنَا

وَنَحْنُ مِنْ كُوْتَى وَمِنْ بَابِلٍ^(١)

أَذْنَابُنَا تَرْفَعُ قُمْصَاتُنَا

مِنْ خَلْفِنَا كَالْخَشْبِ الشَّائِلِ^(٢)

هذا الحادث الطريف لم يسبقه اليه انسان سواء أكان شاعراً أم غير شاعر . مخلص الموصلي يصعد المنارة ويصيح بشعره هاجياً ابن عم له قائلاً : استعدوا لمصيبة كبيرة هي أن ابن عمي (كاملاً) بدأ يُقْرئ الناس الشعر ، وكامل ناقص العقل لا يميز الامور ، في صوته يَهْيَهة كأنه أعرابي من رعاة الإبل من بكر وتغلب ، ونحن من قوم لنا أعجاز تشيل قصائنا من خلفنا وهي علامة و خِلقة فينا .

وربما تظهر شخصية مخلص الموصلي لأول نظرة في هذا الحادث أو في رواية انتقاله بالولاء من قبيلة الى أخرى ، أنها شخصية انفعالية تنفجر لادنى حادث وتفقد إترانها ، أو انها شخصية (سيكوباثية) . والشخص

(١) كوْتَى - موضع بسواد العراق من أرض بابل . معجم البلدان

ج ٤ ص ٤٨٧ .

(٢) يقول أبو عبيد البكري في كتابه (سطر الآلئ) ج ٢ ص ٧٦٧ في شرح هذا البيت [ذكر أبو علي - يقصد أبو علي القالي البغدادي - عن ابن دريد فيما روينا عنه أن ذلك خلق في أهل (كابل) في عجب - مؤخر - ذنب كل واحد منهم ارتفاع ونشوز] ويعلق البكري على هذه الرواية بقوله (هذا كذب لعمرى . . . وذكر لي بعض العارفين بهم أن في عجب - مؤخر - ذنب بعضهم فقرة زائدة ، فهذا إن صح يهون بعض الخطب) . الشائل - الحامل والرافع .

السيكوباتي مندفع ليس لغيره مكانة في حسابه ، ولا يهتم بالاوزان الاجتماعية اذا ما سلك الطرق المنحرفة ، وهذه الشخصية تلازم الفنانين احياناً فيدبحون لانفسهم من الحرية والتفكير والشذوذ ما لا يرضاه الافراد الاسوياء .

لكن مغلداً ليس من هذا الطراز المنحرف ، بل شاعر يعيش في بيئة لها أعرافها وتقاليدها ، والهجاء نقد ، والشاعر اذا ما وجد أمراً فظيماً أو شخصاً غريباً وأراد نقده ، تبرأ منه وهجاه ، فاذا لم يجد مجالاً - ولم تكن وقتئذ صحف ولا اذاعة - أذاع وعلن نقده بطريقة التي تناسب زمانه وظروفه ، وليس بغريب علينا ما كان يفعله شعراء الجاهلية في المواسم والاسواق .

ثم إن رواية واحدة أو حادثاً واحداً لا نعرف ملابساته وظروفه لا يمكن الحكم عليه . ومهما يكن من شيء فإن حادث المنارة فيه دُعاة لطيفة لا تخلو من نكتة وهزل وسخرية ، لذلك لقبنا مغلداً الموصلي بـ (شاعر المنارة) كذكرى لهذا الحادث .

والشعراء قديماً لُقّبوا باللقاب شائعة معروفة ومشهورة ، وقد أُلّفَت في القاب الشعراء كتب عديدة ، ومن هذه الالقاب ^(١) [طائفة اقترنت بحادث أو قصة طريفة وقعت للشاعر] .

جاء في الاغانى عن الشاعر (موسى شهوات) ^(٢) : [هو موسى

(١) كتاب معجم القاب الشعراء - مقدمة ص ٧ . وقد عدد المؤلف ثمانية كتب في القاب الشعراء .

(٢) الاغانى ج ٣ ص ٣٥١ .

ابن يسار ... وإنما لُقِّبَ موسى شَهَوَاتٍ لَّأنه كان سؤُولاً مُلْحِقاً ،
فكان كلما رأى من أحد شيئاً يعجبه من مال أو متاع أو ثوب أو فرس ،
تباكى ، فاذا قيل له : مالك ؟ قال ، اشتبى هذا ، فسمي : موسى
شَهَوَاتٍ [.

ويحدثنا ابن رشيقي في كتابه (العُمدة) بقوله (١) : [وطائفة
أخرى - من الشعراء - نطقوا بالشعر بالفاظ صارت لهم شهرة يلبسونها ،
والقبا يُدْعَوْنَ بِهَا فلا ينكرونها . منهم (عائذُ الكلبِ) واسمُه
عبدالله بن مُصْعَب ، كان والياً على المدينة للرشيد ، لُقِّبَ بذلك لقوله :
مالي مَرَضْتُ فلم يَعُدْني عائذُ

منكم ، وَيَمْرَضُ كَلْبُكُمْ فَأَعُوذُ

ثم يذكر عدة القاب للشعراء ويختم حديثه بقوله : وأمثالهم ممن ذكره
المؤلفون لا يُخَصَّوْنَ كثرة ...] .

ونحن نعرف الأعشى وتأبط شرّاً والفرزدق والأخطل وصرّيع
الغواني والمتنبي وغيرهم كثير ، وكلها القاب معروفة .

فتلقب مَخْلَدُ بْنُ بَكَّارِ الموصلي بـ (شاعر المَنارة) شيء
مقبول يدل على هذه الحادثة الطريفة التي لم يسبقه إليها سابق ولم
يقبله لاحق .

قيمة شعره وضياع اكثره

يُعييب بعض النُقّاد المُجدِّ ثين شعرَ المديح ، ويرون التّكسب به سُبّة وعاراً ، وشعرَ المديح تَمَلّقاً ونفاقاً وخروجاً عن الخلق القويم وامتهاناً للشعر .

ولكن ماذا يفعل الشعراء وهم من ذلك العهد وتلك الظروف ، ومعظمهم من الفقراء ، وقديماً قالوا : المعرفة صنعة الفقير ؟؟

أبقي الشاعر خامل الذكر لا يعرفه ولا يذكره أحد ؟

أتكسد بضاعته الغالية وقتئذ ويموت جوعاً ؟

أيرى هؤلاء أن الشاعر نبيٌّ أو راهب في صومعته ؟

أحياناً تزن الأمور بميزاننا العصري ، والموازن تختلف من زمن الى زمن ، ومن بلد الى بلد . في زمانهم لم تكن طباعة وورق وصحف واذاعة ووسائل إعلام ، لذلك اضطر الشاعر الى عرض بضاعته ليكسب الخلود وليكون معروفاً مشهوراً ، وليعيش في رفاه ونعيم بفضل موهبته الشعرية التي منحه الله إياها .

وهذه طبيعة البشر ، كل البشر ! والسوق الراجحة المربحة وقتئذ هي سوق الخلفاء والوزراء والولاة والاغنياء ، لذلك عرضوا بضاعتهم عليهم ، كما نفعل نحن الآن في طريقة عرض ما نتجّه من صناعة وغيرها ، لنجد

لها الزبائن ولنربح ونستفيد ، فنَجْمَلُ البضاعة ونَدْعُو لها صدقاً وكذباً ، ونتملّق المشتري .

هذا هو منطق الدنيا ، ومن خرج عن منطقها خَمَل ذكره وكسدت بضاعته وذهب مع الريح .

ثم إن بعض نقّاد الأدب ومؤرخيه القدامى كانوا يحفلون بالشعراء الذين كثر اتصّالهم بالخلفاء والوزراء وذوي الجاه ، وقلماً يهتمون بغيرهم ، وكانهم يرون قيمة الشاعر باتصاله بهؤلاء . ويرى بعضهم أن من لا تحسن علاقته بهم ، أو من كان شعره أو سلوكه لا يوافق ذوقهم ومزاجهم ، يرون هذا غير لائق للذكر أو الاعتراف به وتسجيل ما نظم . لذلك خمل ذكر كثير من الشعراء الذين لم تساعد الظروف أو أبت عليهم نفوسهم أو لم يجدوا الخطوة لدى المؤرخين والنقّاد .

وبسبب كل هذا ضاع كثير من الشعر ، وأنتسحل كثير من شعر الشعراء المغمورين ، ولعل خير من يحدثنا ويصف لنا هذه الحالة هو القاضي الجرجاني : أبو الحسن علي بن عبد العزيز ٣٦٦ هـ - ٩٧٦ م في كتابه [الوساطة بين المتني وخصومه] في حديثه عن الشعراء الذين ضاع شعرهم فيقول " : [فاما اليقين والثقة ، والعلم والإحاطة ، فمعاً ذا الله أن أدّعيه ، ولو ادّعيته لوجب أن لا تقبله مع علمك بكثرة الشعراء واختلاف الحظوظ ، وخمول أكثر ما قيل ، وضياح جُلّ ما نُقِلَ . واطنك قد سمعت وانتهى إليك أن (البحري) اسقط "٢

(١) ص ١٣٥ .

(٢) في هامش صفحة ١٣٥ من كتاب الوساطة إشارة الى أن النسخة المراقية من كتاب (الحماسة) للبحري تشير الى أن عدد الشعراء هم مائة فقط .

خمسائة شاعر في عصره ، فما يؤمنني من وقوع بعض أشعارهم الى غيري ، ومن يدري ما فيها ؟؟ وهل هذا المستغربُ المستحسنُ منقول عنها ومقتبس منها ؟ أم هؤلاء المحدثون الذين شاركوا في الدار والبلد وجاورونا في العصر والمولد ، فكيف بمن بَعْدَ عهده وَقَدْ مَ زمانه وتناسخت الأمم بيننا وبينه ؟ ... وقد ذكر الاصمعي أن فتية من الحبي اتوا أبا خَمْضَمَ الراوية فقال : ما جاء بكم ؟ قالوا : اتيناك نتحدث ... ثم انشداهم لمائة أو ثمانين شاعراً كلهم يسمى (عُمَرَا) ، قال الاصمعي : فَجَهِدْنَا أَنْ نُنِيتَ ثَلاثين شاعراً يسمى (عمراً) فلم نجد . وزعم الاصمعي ايضاً : ان إخوة من بني سَعْدِ يسمون : مُنْذَرَا وَمُنْذِرَا ونذيراً ، كانوا كلهم رُجَّازاً ، فلم يهبطوا الامصار فذهبت اشعارهم [.

وشعر مغلد ضاع اكثره ولولا ما ذكره ابو زكريا الازدي في (تاريخ الموصل) وبجيء أي تمام الى الموصل وتعصب بعض مؤرخي الأدب ونقاده لأي تمام او عليه ، ما وجدنا لمغلد ذكراً إلا في القليل النادر جداً .

ثم إن ما وجدناه لمغلد في كتب الأدب والنقد القديمة من بيت واحد او بيتين او اكثر ، كان كله مذكوراً في موضع الجودة والملاحة والثناء عليه .

ويحدثنا ابن المعتز ٢٩٦ هـ - ٩٠٨ م في كتابه (طبقات الشعراء) - وقد افرد حديثاً خاصاً باخبار مغلد - بقوله " : [كان مغلد خرج الى العراق وبها شعراء الناس ، فاجتمعوا بيباب (المعتصم) فإذن لهم

فدخلوا ، فجعلوا ينشدون فيعطى كل واحد منهم الالف او الالفين ، ولم يزد واحداً منهم ، وفيهم مخلد وكان قدم تلك السنة ، ولم يعرفه احد من الشعراء ، فأنشد المعتصم من ذلك اليوم شعراً استحسنته ، فقال له : من انت ؟ قال : مخلد ، قال : الموصلي ؟ قال : نعم يا امير المؤمنين ، قال : قد أثبتنا كلمتك قبل خروجك إلينا ، وأمر له بثلاثة آلاف درهم] .

هذه الرواية تدلنا على منزلة مخلد ومكانة شعره بين شعراء زمانه ، وعلى ضياع شعره لان ابن المعتز لم يذكر شيئاً من تلك القصيدة .

وجاء في ^(١) (المختار من طبقات الشعراء) : ^(٢) [ومما يستملح من شعر مَخْلَدَ بْنِ بَكَّارٍ يمدح محمد ^(٣) بن حميد الطوسي :

صَدَّتْ وما صَدَّتْ لِشَيْبِ عِيَالِي

أَخْبِي بِحَيْثُ دَسَّ سِرَاجُ قِذَالِي ^(٤)

لَمَّا رَأَتْ هَمِّي عَلَى مَرُوءِيَّةٍ

أَسْمُو بِهَا وَأَصُونُ وَجْهَ سُؤَالِي ^(٥)

(١) المختار من طبقات الشعراء جاء ملحقاً بكتاب طبقات الشعراء .

(٢) المصدر السابق ص ٤٤٤ .

(٣) كان محمد بن حميد الطوسي والياً على الموصل بين سنتي ٢١١هـ - ٢١٢هـ في خلافة المأمون .

(٤) أخبى - اطفأ . الحنّس - الظلمة . القذال : شعر ما بين الاذنين الى مؤخر الرأس .

(٥) المرهوبة - الناقة التي اجهدتها السير .

ولم يذكر من القصيدة غير هذين البيتين .
وجاء أيضاً : ^(١) [ومما يستملح من شعر مَخْلَد بن بَكَّار كلمته
في الغزل :

لَطَفْتُ لِي حُمْرَةً فِي جَنْبِهَا
[بِخَفِيٍّ مِنْ تَجَاوِدِ الْعَمَلِ] ^(٢)
[فَاكْتَسَتْ حُمْرَتَهَا وَجَنَّتْهُ]

حين أومى لوصالي بالخجل ^(٣)
ويقول أبو زكريا الأزدي : ^(٤) [استعرض السيّد - يقصد السيد بن
أنس التليدي - في مقامه ببغداد ^(٥) (عَنانَ جارية النّاطِفي) وقد
وَصَفَ له شعرها ، فقال لها : أنشدني من شعرك ، فقالت : أنشدني
بعض ما قيل فيك ، فأنشدها لخلد :

وَإِذَا تَرَعَرَعَ مِنْ تَلِيدٍ نَاشِئٌ
جَعَلَ الْحُسَامَ ضَجِيعَهُ فِي السَّمْرِ قَدْ ^(٦)

(١) المصدر السابق ص ٤٤٤ .

(٢) الضمير في جنبها يعود الى (التفاحة) في البيت السابق - لاحظ
القطعة التي رواها ابن المعتز لخلد في شعر الغزل - وهذا البيت والذي بعدهما
تشطير للبيت الأصلي في القطعة المذكورة وهو :

لطفت لي حمرة في جنبها حين أومى لوصالي بالخجل
(٣) أومى - أشار والأصل أوما ، أبدل الهمزة الفا للتخفيف .

(٤) تاريخ الموصل ج ٢ ص ٣٥٥ .

(٥) عنان - شاعرة مستهترة اشتهرت ببغداد وتوفيت سنة ٢٢٦ هـ .

(٦) ترعرع - نشأ وشب . ناشئ - في الكتاب (ناشئاً) وهو خطأ =

فقلت :

اللهُ خَصَّ قَدِيمَهُمْ وَحَدِيثَهُمْ
دُونَ الْبَرِيَّةِ بِالْعِلَّا وَالسُّوْدِ
وَكَالْ فَضْلِهِمْ إِذَا مَا اسْتَنْجَمُوا
يَوْمَ التَّفَاخُرِ بِالنَّجِيبِ السَّيِّدِ^(١)

ويروي الأزدي الموصلي^(٢) كذلك بيتين من قصيدة يصف فيها مخلد
حال [زُرَيْقَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ صَدَقَةَ الْأَزْدِيِّ الْمَوْصِلِيِّ] عندما توجه لمحاربة
[بَابِكَ الْخُرَّمِيِّ] بموافقة الخليفة المأمون ، فحال الشتاء ، بيرده
وثلجه ، دون الحرب ثم تفرق أصحابه عنه :
لِلَّهِ دَرُّ زُرَيْقٍ حِينَ قَرَطَقَهَا^(٣)

من قبل أن يُلَاحِظَ الْبَدْنَ مِنْ مُنْصَرِفِ^(٤)

= مطبعي . تليد - عشيرة السيد بن أنس . ضجيعه - الذي يضطجع معه
والملازم له . المرقد - انمام .

(١) السيد - تقصد السيد بن أنس .

(٢) تاريخ الموصل ج ٢ ص ٣٥٧ .

(٣) قرطقتها - يقول محقق الكتاب : القِرَاطُ - القباء ولعل الكلمة
محرفة من (طوقها) . وأنا أقول : لعل الاصل (فرطها) بتشديد الراء بمعنى ضيعها
لأن زريقاً لم يطوق شيئاً بل عجز عن محاربة بابك وقد أضاع كل شيء ، ولعل
(فرطها) هي الصواب . راجع تاريخ الموصل ج ٢ ص ٣٥٧ كدليل على الحادث .

(٤) يلج - يدخل . البدين - ثنية البد ، وهي كورة بين أذربيجان
وأران . معجم البلدان ج ١ ص ٣٦١ .

أَوْ يَغْبِرُ الرَّأْسُ فَأَنْصَاعَتْ كِنَانَتُهُ
أَوْ يَدْخُلُ الْبَذُّ فِي أَضْعَافِهَا إِنْشَقَافًا ^(١)

وهكذا ضاعت القصيدتان .

ويذكر أبو بكر الصولي بيتين استحسنهما لخلد الموصلي في الهجاء ،
وهما لم يكونا في هجاء أبي تمام ، على ما يظهر ، وهما ^(٢) :

قَدْ كَثُرَ الْعَيْبُ فَيْكَ حَتَّى

أَعَاذَكَ الْعَيْبُ مِنْ هِجَائِي ^(٣)

لَا تَحْمَدَنِي وَكُنْ حَمِيداً

مَا فَيْكَ مِنْ كَثْرَةِ الْبَلَاءِ

ويحدثنا أبو الفرج الأصبهاني بقوله : ^(٤) [حدثني الصولي ، قال :

(١) يغبر - يضي . إنصاعت - رجعت بسرعة . الكنانة - جعبة من
جلد أو خشب تجعل فيها السهام . أضعافها - أثناءها أو خلاها .
إنشقافاً - لم أجد معنى لهذه الكلمة وقد تركها المحقق بدون شرح ،
ولعلها محرفة من (إنشغفاً) - ببدال القاف غيناً - وإنشغف بالشيء أي أولع
به . وبذلك يكون معنى البيت كما أراه : أو يضي رئيس القوم وقد تفرق جمعه
أو يدخل كورة البذ التي أولع وتلهى بما رآه خلاها من خير وجمال . ويقول
ياقوت الحموي واصفاً طبيعتها وفاكيتها : بها رمان عجيب ليس في الدنيا مثله
وفيهما تين عجيب وزبيدها يحفف بالتنانير لأنه لا شمس عندهم لكثرة الضباب .

معجم البلدان ج ١ ص ٣٦١

(٢) اخبار أبي تمام ص ٤٩ .

(٣) أعاذك - حفظك .

(٤) الاغالي ج ٨ ص ٣٦٩ .

حدثني عَوْْنُ بنُ محمد الكندي ، قال : كنتا مع مَخْلَد الموصلي في مجلس ، وكان معنا عبدالله بن ربيعة الرقي^(١) فأنشد مَخْلَد قصيدة له يقول فيها :

كُلُّ شَيْءٍ أَقْوَى عَلَيْهِ وَلَكِنْ

لَيْسَ لِي بِالْفِرَاقِ مِنْكَ يَدَانِ

فجعل يستحسنه ويردده ، فقال له عبدالله : أنت الفداء لمن ابتدا هذا المعنى فأحسن فيه حيث يقول :

سَلَبْتَنِي مِنَ الشُّرُورِ ثِيَاباً

وَكَسْتَنِي مِنَ الِهُمُومِ ثِيَاباً

كَلَّمَا أَغْلَقْتُ مِنَ الْوَصْلِ بَاباً

فَتَحْتُ لِي إِلَى الْمَنِيِّ بَاباً

عَذَّبَنِي بِكُلِّ شَيْءٍ سِوَى الصَّدِّ (م)

فَمَا ذَقْتُ كَالْصُدُودِ عَذَاباً^(٢)

قال فضحك الموصلي ، والشعر للعباس بن الأحنف [.

ويقول أبو هلاك العسكري ٣٩٥ هـ - ١٠٠٤ م في كتابه (ديوان

المعاني) عند حديثه عن النجوم وأحسن ما قيل فيها [قال مَخْلَد الموصلي^(٣) :

(١) عبدالله بن ربيعة الرقي - هو ابن ربيعة الرقي الشاعر العباسي وقد

ذكرنا ترجمته في المقدمة ص - ٨

(٢) الصد والصدود - الاعراض والميل عن الشيء .

(٣) ديوان المعاني ج ١ ص ٣٣٥ .

وترى النجومَ المُشرقاتِ (م)

كانَّها دُورُ العِصابة^(١)

وترى الثُّريا وَسَطَها

وكانَّها زَرَدُ الذُّؤابة^(٢)

وَزَرَدُ الذُّؤابة يشبه نجومها ، وتأليفه يشبه تأليفها فهو تشبيه مصيب [والقصيدة التي ورد فيها هذا البيت لم نجد لها .

وجاء في كتاب [يتيمة الدهر] للثعالبي ٤٢٩ هـ - ١٠٣٧ م في الكلام عن (صدر من سرقات المتنبي) : [قال مخمِّلُ الموصلي^(٣) :

يا مَنْزِلًا ضَنٌّ بِالسَّلامِ سَقِيتَ رَيًّا مِنَ الْغَمِّ^(٤)

ما تَرَكَ الدَّهْرُ مِنْكَ إِلَّا ما تَرَكَ الشَّوْقُ مِنْ عِظَامِي

أخذه أبو الطيب - المتنبي - فجوَّده حيث قال :

ما زالَ كُلُّ هَزِيمٍ الْوَدَقِ يَنْحُلُها

والشَّوْقُ يَنْحُلُنِي حَتَّى حَكَتْ جَسَدِي^(٥)

(١) درر - جمع درة ، وهي اللؤلؤة العظيمة . العصابة - العمامة وما عصب به - أي شد به - من منديل ونحوه . ويظهر أن النساء كن يضعن العصابة على رؤوسهن وهي مزينة بعمود اللؤلؤ أو غيره .

(٢) الثُّريا - مجموع الكواكب . الزرد - الدرع المزرودة يتداخل بعضها في بعض . الذُّؤابة - علاقة قوائم السيف .

(٣) يتيمة الدهر ج ١ ص ١١٠

(٤) ضن - بخل الري - بفتح الراء وكسر ها - الشبع من الماء .

(٥) هزيم - صوت الرعد . الودق - المطر ، ينحل - نحل جسمه أي سقم ودق من مرض أو تعب . حكّت - شابهت .

هذا هو كل ما وجدناه في موضع الجودة والاستحسان من شعره في رأي مؤرخي ونقاد الأدب القدامى ، ونفيه دلالة على جودة أسلوبه وصوره وثروته اللغوية ، وربما كان هذا قليلا من كثير ، ونغلد سبيء الحظ وقد ضاع منه الكثير الكثير !!

ما بقي من شعر مغلد

لم نجد من شعر مَخْلَدَ بنِ بَكَارٍ الموصلي إلا القليل ، وهو في اغراض : الشوق^(١) والغزل والمدح والرثاء والهجاء :

في الشوق :

يروى لنا ابو علي القالي البغدادي في كتابه (الأما لي) قطعة لمغلد في الشوق : مغلد يَحْثُ ناقته أو فرسه الممزولة لما فيه من شوق وتحنان ، ويدَّ تحسُّها على السير به لئلا يبتليها الله بما ابتلاه ، فأخذت تحثَّ السير وتجتاز كل مفازة وفلاة مخافة دعوة العاشق المشتاق ، فلما كَلَّتْ وفترت ذكَّرها وأكَّدها عليها وهدَّدها بالدعاء عليها ، فكان هذا كسوط يلهب جانبها الى ضحوة الغد . فيقول ابو علي القالي^(٢) [انشدني ابو يعقوب وَرَّاقُ أبي بكر بن دُرَيْدٍ ، قال : أنشدني احمد بن عبيد الجوهري ، قال : أنشدت لمغلد الموصلي :

أقولُ لِنِضْوٍ أنفَدَ السَّيرُ نَيَّها
فلم يبقَ منها غيرُ عَظَمٍ مُجَلَّدٍ^(٣)

(١) يرى قدامة بن جعفر في كتابه (نقد الشعر) ص ٤٧ أن التشوق من النسب وليس من الغزل .

(٢) الأما لي ج ١ ص ٢٥٥ .

(٣) النضو - الممزول من الحيوان . أنفد - أفنى . نياها - التي هو الشحم الذي على الحيوان من سمته . المجلد - العظم المجلد الذي لم يبق عليه غير الجلد .

خذي بي ابتلاكِ الله بالشوقِ والهوى

وشاقكِ تحنانُ الحمامِ المُغرَّدِ^(١)

فمرتِ حذاراً خوفَ دَعْوَةِ عاشقٍ

تَشْقَى بي الظلماءُ في كلِّ فَدْ فَدْ^(٢)

فلما وَنتَ في السَّيرِ ثَنَيْبُ دَعْوَتِي

فكانت لها سَوْطاً الى ضُحْوَةِ الغَدِ^(٣)

في الغزل :

يقول ابن المعتز : ومما روينا له لمخلد قوله^(٤) :

[من بحر الرَّمَل]

سَأَيْلِي عَنْ كُنْهِ حَالِي لَا تَسَلْ

أَنَا عَنْ تَفْسِيرِ شَأْنِي فِي شُغْلِ^(٥)

كُنْتُ مَوْضُوعاً بِأَسْبَابِ الْقَلْبِ

يَدَّرُ بَيْنِي الْهَجْرُ عَنْ قَوْسِ السَّمَلِ^(٦)

(١) شاقك - أهاجك . تحنان - الرحمة ، الشوق .

(٢) الظلماء - شدة الظلام . الغدغد - الفلاة ، المكان الغليظة أو المرتفعة .

(٣) ونت - كلت وفنرت وضعفت . ثنيت : أعدت مرة ثانية .

الضحوة - ارتفاع النهار بعد طلوع الشمس .

(٤) طبقات الشعراء ص ٢٩٨ .

(٥) الكنه - جوهر الشيء ، أصاه ، حقيقته وغايته . الشأن - ماعظم

من الأمور أو الحال .

(٦) القلى - البغض ، وقلاه أي أبغضه وكرهه غاية الكراهة . =

فَجَرَتْ تَفَاحَةً مَعْضُوضَةً

بَيْنَ مَنْ أَهْوَى وَبَيْنِي فَوَّصَلْ

لَطَفَتْ لِي حُمْرَةً فِي جَنْبِهَا

حِينَ أَوْمَى لِرُصَالِي بِالْخَجَلِ^(١)

جَادَ لِي بَعْدَ جِمَاحٍ فَبَدَتْ

لِي فِي خَدَّيْهِ آثَارُ الْقَبِيلِ^(٢)

يَا رَسُولًا أَوْصَلَ الصَّبَّ بِهِ

عَشْ نَضِيرَ الْغُصْنِ يَا مَوْلى الرُّسُلِ^(٣)

= يدريني - يخاتلني . وإداره أي ختله ، وإدرى - بتشديد الدال -
الصيد ختله أي مشى قليلاً قليلاً لئلا يحس الصيد به .
قوس - القوس : آلة على شكل نصف دائرة ترمى بها السهام ، وكل شيء
منحن فهو قوس .

وفي المعاجم : القوس - صومعة الراهب أو بيت الصياد . ولا أرى
لقوس الملل صورة في الحقيقة أو المجاز من هذه المعاني . ولعل الكلمة محرفة من
(فرس) - بفتح الفاء وسكون الراء - لأن نخلداً يميل الى استعمال الغريب ،
وفي اللسان (الفرس) هو دق العنق ثم كثر حتى جعل كل قتل فرساً ، وفرس
الشيء فرساً أي دقه وكسره (فكأنه أراد أن الهجر يخاتله متجاوزاً أو بدلاً
عن قتل الملل ، لأن الملل قتال ، و (عن) هنا تعني التجاوز أو البدل .

(١) أومى - أصلها أوما أي اشار ، جعل الهمزة الفاء للتخفيف .

(٢) جِمَاح - مصدر جمح ، وجمح الرجل أي ركب هواه واسبغ الى

الشيء فلم يمكن رده .

(٣) الصب - العاشق وذو الولع الشديد . النضير - الحسن . الشديد

الخضرة وهو علامة الشباب والقوة والجمال . مولى الرسل : سيد الرسل .

في المدح :

يرى قدامة بن جعفر ٣٣٧ هـ - ٩٤٨ م في كتابه [نقد الشعر] في حديثه عن نعت المديح ^(١) : [إنه لما كانت فضائل الناس من حيث أنهم ناس - لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان - على ما عليه أهل الألباب من الاتفاق في ذلك ، إنما هي : العقل والشجاعة والعدل والعفة ، كان القاصد لمدح الرجال بهذه الأربع الخصال مصيباً ، والمدح بغيرها مخطئاً ، وقد يجوز في ذلك أن يقصد الشاعر للمدح منها البعض والإغراق فيه دون البعض فلا يسمى مخطئاً لأصابتها في مدح الإنسان ببعض فضائله ، لكن يسمى مُتَّصِراً عن استعمال جماع المدح] .

ومحمد الموصلي يصف هذه الخصال الأربع : العقل والشجاعة والعدل والعفة ، في مدحه سليمان بن عمران الموصلي ، وكأنه يتبع هذه النظرية التي قررها بعض نقاد الأدب بعده بزمان طويل .

وسليمان بن عمران المودلي - من اليانين - كان قد أبلى بلاء حسناً ، اشتهر به في وقعة (الميدان) وكانت بين القبائل اليانية واليزارية في الموصل سنة ١٩٨ هـ - ٨١٣ م . وفيه يقول ^(٢) : من بحر (الخفيف) .

يَمُوتُ الصَّفا وَتَحْيَا الضُّجُورُ

وَيَبْدُو النُّقَا وَيَنْمِي السُّفُجُورُ ^(٣)

(١) نقد الشعر ص ٣٩

(٢) تاريخ الموصل ج ٢ ص ٨٤ ، ٣٣٣ ذكر الازدي الموصلي هذه القصيدة بقطعتين الأولى ص ٨٤ والثانية ص ٣٣٣ وبحق الكتاب لم يشرح من القصيدة كلها غير كلمتين فقط .

(٣) استعمل الشاعر في مطلع القصيدة ثلاث محسنات من علم البديع : =

= فقد طابق بين (يموت وتحيا) وبين [يبيد وينمي] . والطباق - بكسر
 الطاء - هو من المحسنات المعنوية ومعناه [الجمع بين الشيء وضده] . واني
 بالازدواج بين [الصفا والنقا] والازدواج هو التشابه في السجع والوزن ،
 وهو من المحسنات اللفظية . ثم جانس بين [الضجور والفجور] والجناس
 - بكسر الجيم - هو تشابه لفظين في النطق واختلافهما في المعنى وهو من
 المحسنات اللفظية كذلك ، ثم استعار الموت للصفا والاستعارة من علم البيان .
 وهذه الصناعة المزدحمة في هذا البيت جعلته غامضاً معقداً كأنه لغز تصعب
 علينا معرفة ما يريده الشاعر ، لذا فلا بد من شرح معنى كل كلمة ، وقد يكون
 لبعضها أكثر من معنى واحد ، لعل القارئ يجد المعنى الذي يريده . هذا اذا
 كان الناسخ موفقاً فلم يحرف او يصحف .

الصفا - جمع صفاة وهي الحجر الصلد الضخم الذي لا ينبت شيئاً ،
 والصفا من الصفاء . ومضافة المودة والاخاء ، وهو نقيض الكدر ، جملة
 مقصوراً لضرورة الشعر .

تحيا - ضد تموت او بمعنى تحضب اي تنتج الخير والحضب .
 الضجور - بضم انضاد - لم اجد معنى لهذه الصيغة في المعاجم ، ولعلها
 بفتح الضاد .

والضجور - بفتح الضاد - هو كثير القلق والضجر من غم وضيق نفس .
 وفي اللسان :

[الضجور : الناقة التي ترغو عند الحلب - اي تصيح وتصوت - وفي
 المثل : الضجور قد تحلب ، يقال للبخيل يستخرج منه المال على بخله] .
 يبيد من باد اي هلك .

النقا - القطعة من الرمل مثل الكتيب . والنقا من النقاء اي النظافة
 والحسن ، جعله مقصوراً لضرورة الشعر . والنقا : عظم العضم وقيل كل
 عظم ذي مخ .

ينمي - يزيد ويكثر . وفي اللسان [نمي الصيد : وذلك ان ترميه
 = فتصيبه ويذهب عنك فيموت بعدما يغيب] .

وَيَهْدُ الْبَغْضُ الْمُدِيرَانِ (م)

يَوْمًا وَيَخْرَسُ السَّمُوفُورُ^(١)

= الفجور - بضم للفاء - العدول عن الحق او الكذب او ركوب المعاصي ،
ولعل الكلمة بفتح الفاء ، والفجور - بفتح الفاء - هو كثير المال جداً وفي
اللسان [الفجر - بفتح الفاء والجيم - هو المال والفاجر كثير المال] والفجور :
صيغة مبالغة بوزن [فعول] .

(١) ارى في هذا البيت الملاحظات التالية ، ولعلها صائبة :

آ - كلمة [البغض] - ضد الحب - جاءت مرفوعة والصواب نصبها
لأنها مفعول به ، والمديران فاعل الفعل [يهد] .

ب - الشطر الاول مكسور ، ولم ينتبه اليه المحقق ، ويحتاج الى كلمة
تأتي بعد [البغض] تكون بوزن [الاذى والاسى والعدى والجوى وما
اشبه] حتى يكون وزنه من بحر الخفيف وتفعيلاته [فعلاتن مستفعلن فاعلن]
- ميزان الذهب ص ٨٢ . ولكن ما هذه الكلمة التي ارادها الشاعر حتى
نستطيع إضافتها ؟ والكلمة المضافة تكون صفة للبغض ؟

المديران - في اللسان [أدبر النهار : ذهب وأمسى المدير أي الذاهب]
ولعله يقصد بالمديرين : الليل والنهار أو الزمان نفسه .

ج - استعمار الهدللبغض كأنه سد أو سور حصين يهده الزمن يوماً ما .

د - الموفور - هو الكثير من المال والمتاع ، ولعل صواب الكلمة هو
(الموتور) - بالتاء = الموتور هو من قتل له قتيلا ولم يدرك بدمه . ومن سياق
المعنى وغرض القصيدة نجد ان عبارة [يخرس الموتور] أصح من يخرس الموفور ،
لأن المال والمتاع الكثير لا يخرس وينعقد لسانه ولو على سبيل المجاز أو الإستعارة
إلا اذا أراد أن الشيء الثقيل الكثير أخرس لاصوت له بعكس الخفيف الفارغ .
أما الموتور فيخرس لسانه اذا وجد قوة أو ازال حقه .

مَا إِن تَجْعُنَا أَبَا الْفَوَارِسِ إِلَّا

أَمْطَرَ تَنَا مِنْ رَاحَتِيهِ بُدُورٌ^(١)

نِعْمَ قَاصِي الْعَدُوِّ سَيْفُ سُلَيْمَانَ (م)

إِذَا مَا سَطَا وَنِعْمَ النَّصِيرُ^(٢)

مُجْرِبٌ^(٣) مُثْرِبٌ^(٤) حَلِيمٌ جَوَادٌ

سَيِّدٌ أَيْدٍ عَفُوٌّ غَفُورٌ^(٥)

(١) انتجع - أتى طالباً المعروف . راحتيه - كفيه ، ومن الواجب ، حتى يتم وزن الشطر ، ان نلفظ كسرة الهاء بأشباعها كأنها صوت الياء ، أو بأضافة [أل] على كلمة [بدور] . بدور - جمع بدرة - بفتح الباء ، وهي : الكية العظيمة من المال أو كيس فيه كمية من المال .

(٢) قاصي العدو - مبعده . سطا عليه : وثب عليه وقهره .

(٣) مجرب - الشطر الأول مكسور الوزن وسببه ان المحقق حسب كلمة [مجرب] من التجربة ، وهي اسم فاعل والصواب انها [محرب] - بكسر الميم وسكون الحاء وفتح الراء وتخفيفها - والمهرب - بالحاء - هو الشجاع والعارف بالحروب وهي صيغة مبالغة بوزن [مفعول] . وفي اللسان [رجل محرب أي محارب لعدوه معروفاً بالحروب عارفاً بها وهو من ابنية المبالغة] .

(٤) مثرب - ثم توهم المحقق بها وشرحها بقوله [ثرب عليه - بتشديد الراء - لامة وغيره بذنبه وذكره به] والصواب هو [مثرب] - بالتاء - اسم فاعل من الفعل [اترب] - بالتاء - أي كثر ماله كأنه صار له من المال بقدر التراب . والمثرب - بالتاء - هو المفسد الخلط ، وليس هذا هو المقصود بل أراد الشاعر انه شجاع محارب وغني وحليم وجواد . واذا صححنا الكلمتين يكون الوزن [فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن] وهو من [الخفيف] .

(٥) الأيد - القوي .

أَحْلَمَ النَّاسِ ثُمَّ إِنَّ سَيْمَ ضَيْمًا
جَهَرَ السِّيفَ حَقْدُ الْمَأْثُورِ^(١)
وَلِيَوْمِ الْمَيْدَانِ مِنْهُ ثَنَاءٌ
لَا تُعْفِيهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّهُورِ^(٢)
يَوْمَ آتَتْ بَنُو زُهَيْرٍ حِمَاً
وَرَحَى الْحَرْبِ بِالْمَنَايَا تَدُورُ^(٣)
فَتَلَقَّاهُمْ بِيَّاسٌ وَجَاشٌ
وَيَدٍ سَمْحَةٍ نَدَاهَا يَمُورُ^(٤)
وَبِرْجُلَيْنِ لَمْ يُبَاشِرْهُمَا إِلَّا (م)
مُصَلِّيً وَ مِنْبَرٌ وَسَرِيرُ^(٥)

(١) سيم ضيماً - سامه الضيم : أذله الظلم . جهر السيف - كشفه وعظم في عينه ، المأثور : القديم .

(٢) تعفيه - تحويه .

(٣) بنو زهير - عشيرة . الحماة - جمع الحامي وهو المانع والمدافع . المنايا : جمع منية وهي الموت .

(٤) البأس - الشجاعة ، القوة . الجاش - القلب ، الصدر ، ويقال : رابط الجأش أي شجاع . سمحة - مؤنث سمح أي جواد معطاء . ويد سمحة كناية عن كثرة النعمة والعطاء . - الندى - الجود والفضل والخير . يمور - يجري ويتحرك بسرعة .

(٥) يباشر - باشر بالأمر أي تولاه بنفسه . السرير - يقصد سرير الملك أو العز أو المجد .

أو نزالٍ لدى الكهنة إذا ما

ضاقَ للكرِّ مَسْلَكَ مَهْجُورٌ^(١)

ويقول قدامة بن جعفر أيضاً في حديثه عن : باب المعاني الدال عليها الشعر : [^(٢) "إني رأيت الناس مختلفين في مذهبين من مذاهب الشعر وهما : السُّلُوءُ في المعنى إذا شرع فيه والاقتصارُ على الحدِّ الأوسط فيما يقال منه . . . فاقول : إن السُّلُوءَ عندي أجود المذهبين : وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديماً . وقد بلغني عن بعضهم أنه قال : أحسن الشعر اكذبه ، وكذا نرى فلاسفة اليونانيين في الشعر على مذهب لغتهم وكذلك كل غالٍ مُفرطٍ في السُّلُوءِ إذا أتى بما يخرج عن الموجود ، فإنما يذهب فيه الى تصديره مثلاً] .

وكذلك يحدثنا ابن رَشِيق ٤٥٦ هـ - ١٠٦٣ م في كتابه (العُمدَةُ) في (باب السُّلُوءِ) بقوله ^(٣) : [قال الحاتمي ^(٤) : وجدت العلماء بالشعر يعيبون على الشاعر أبيات الغلو والإغراق ، ويختلفون في استحسانها واستهجانها ، ويُعجَبُ بعضُهم بها ، وذلك على حسب ما يوافق طباعه

(١) النزال - المقابلة والمقاتلة في الحرب . الكهنة - جمع كهي وهو الشجاع أو لابس السلاح . الكر - كر الفارس على العدو أي حمل وانقض عليه . مسلك - طريق .

(٢) نقد الشعر ص ٣٥ - ٣٨ .

(٣) العمدَةُ ج ٢ ص ٥٨ . الغلو - المبالغة . الإغراق - بكسر الهمزة - المبالغة والاطناب .

(٤) الحاتمي : هو ابو علي محمد بن الحسن المظفر الحاتمي : من حذاق أهل اللغة والأدب ، نشأ في خدمة سيف الدولة واجتمع هناك بأبي علي الفارسي =

واختياره ، ويرى أنها من ابداع الشاعر الذي يوجب الفضيلة له ، فيقولون : أحسن الشعر اكذبه ، وإن الغلو إنما يراد به المبالغة والإفراط ، وقالوا : اذا أتى الشاعر من الغلو بما يخرج عن الموجود ويدخل في باب المعدم ، فإنما يريد به (السَّمْلَ وبلوغ الغاية في النعت) واحتجّوا بقول النابغة وقد سئل : من أشعر الناس ؟ فقال : من أُسْتُجيد كذبه وأضحك رديئه . وقد طعن قوم على هذا المذهب بمنافاته الحقيقة وأند لا يصح عند التأمل والفكرة [.

ثم يستمر ابن رشيّق فيقول^(١) : [وزعم بعض المعقّبين أن الذي كثّر هذا الباب أبو تمام وتبعه الناس بعده ، وأين أبو تمام مما نحن فيه ؟ فاذا صرت الى أبي الطيب - المتني - صرت الى أكثر الناس غلوّاً وأبعدهم فيها همّة ، حتى لو قدر ما أخلّى منه بيتاً واحداً ، وحتى تبلغ به الحال الى ما هو عنه غنى ، وله في غيره مندوحة ... وأحسن الإغراق ما نطق فيه الشاعر أو المتكلم بـ (كاد) أو ما شاكلها نحو : كأنّ ، ولو ، ولولا ولغة القرآن أفصح اللغات ، وانت تسمع قول الله تعالى

= وابن خالويه وأبي الطيب المتني وغيرهم ، وله كتب كثيرة أكثرها في صناعة الشعر وفي اللغة ، وله كتاب [الموضحة في مساوئ المتني] وفيها يحصي أبيات المتني التي اخذ معانيها من ارسطو ، فيورد البيت ومعه قول ارسطو ، وقد اجتمع بالمتني في بغداد وناظره ، وينقل ياقوت الحموي تلك المناظرة ، وتوفى سنة ٣٨٨ هـ وقد كان من اثقف نقاد الأدب ، ومن المؤسف ضياع معظم ما ألفه - معجم الأدباء لياقوت ج ١٨ ص ١٥٤ . كتاب النقد المنهجي عند العرب ص ١٥٥ .

(١) العمدة ج ٢ ص ٦٠ .

(يكاد البرق 'يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ) وقوله [إذا أخرج يده لم يكد يراها] .

ومحمد الموصلي كان على هذا المذهب ، فقد غالى وبالغ في مدح السيد ابن أنس التليدي الأزدي الموصلي ، وكانت والياً على الموصل وأعمالها سنه ٢٠٢هـ - ٨١٧م إلى سنة ٢١١هـ - ٨٢٦م . ومحمد ينتمي بالولاء للأزد ، والسيد حاكم بأمره في المنطقة كلها في خلافة المأمون ، وكان فارساً شجاعاً ، وفيه يقول^(١) :

أَمَّا الْجِبَالُ فَقَدْ رَأَيْتُ مُلُوكَهَا

لَا يَحِلِفُونَ إِذَا خَلَوْا بِسِوَاكَ^(٢)

لَوْ طَوَّفْتُ بِالْبَيْتِ وَاعْتَمَرْتُ بِهِ

لَمْ تَخْشَ خَالِقَهَا كَمَا تَخْشَاكَ^(٣)

قُلْ لِلَّذِي يَبْغِي عَدَاوَةَ سَيِّدٍ

إِيَّاكَ وَيُؤَلِّقُ الرَّدَى إِيَّاكَ^(٤)

وقد بالغ محمد في مدح (تليدي) عشيرة السيد بن أنس التليدي فقال^(٥) :

(١) تاريخ الموصل ج ٢ ص ٣٦٣ .

(٢) كانت الجبال المحيطة بالموصل تابعة لها والوالي يشرف عليها ، والملوك هم الشيوخ والرؤساء .

(٣) البيت - هو البيت الحرام . اعتمرت - اعتمر بالمكان قصده وزاره والعمرة : هي أفعال مخصوصة تسمى بالحج الأصغر .

(٤) الردي - الهلاك . وفي هذا البيت تحذير وتأكيد عليه .

(٥) تاريخ الموصل ج ٢ ص ٤٢٣ .

تَلِيدُ فِي أَنَامِلِهَا رِمَاحُ
تَلَفَّظُ فِي أَسْنَتِهَا الْمَنُونُ^(١)
وَمَنْ يَبِغِ اسْتِبَاحَتَهُمْ يَزُرُّهُمْ
فَهُمْ أُنْسُدُ وَحَبِيتُونَ الْعَرِينُ^(٢)
فَلَا تَقْرَبُ حَرِيمَ بَنِي تَلِيدٍ
فَإِنَّ الْمَوْتَ دُونَهُمْ كَمِينُ^(٣)

ويظهر أن الزمن قد قسا على مخلد الموصلي لذلك شكّا حاله الى
(ما ليك بزبطوق) والى الموصل سنة ٥٢١٤ هـ - ٨٢٩ م حتى سنة

(١) الأنامل - رؤوس الاصابع ، مفردا أتملة . تلفظ - أصلها تتلفظ ،
حذفت إحدى التاءين لتخفيف اللفظ ، ولفظ تعني قذف ورمى . الأسنة :
جمع سنان - بكسر السين - وهو نصل الرمح . والمنون : جمع منية أي الموت .
(٢) جاءت عبارة [ومن يبغ استباحتهم] في الكتاب بهذا الشكل
[ومن يبغى استباحهم] والصواب ما ذكرناه وهو أن تكون (يبغ) بحذف
الياء لأنها فعل الشرط مجزوم بحذف حرف العلة . واستباحتهم مصدر استباح
وليس (استباحهم) كما جاء في الكتاب ، واستباح القوم استأصلهم ، وقد
قصدا التصحيح مباشرة مخافة الالتباس

حبتون - بكسر الحاء - جبل بنواحي الموصل وهو أعجمي لا أصل له
في العربية . معجم البلدان ج ٢ ص ٢١١ . العرين - مأوى الأسد ، ومعنى
الشرط التالي أنهم أسود وجبل حبتون عرينهم وكانت السد بن أنس وقومه
يسكنون هذا الجبل تاريخ الموصل ج ٢ ص ٣١٥ .

(٣) الحريم - ما يدافع عنه الرجل ويحميه . الكمين : القوم يستخفون
في مكان ثم ينتهزون فرصة ليهاجموا على العدو .

٢١٦ هـ - ٨٣١ م و^(١) [كان مالك بن طوق رجلاً نبيلاً له لبٌ ووقار وجلالة] . وفي ولايته الموصل كان حازماً شديداً في أحكامه عارفاً قيمة نفسه لا يحفل بمدح الشعراء كثيراً ، وكان في حالة عُسر لقلة المال الذي لديه بدليل ما رواه الأزدي عن دُعبل الخزاعي الشاعر الهجاء عندما كان في الموصل في مجلس مالك ، وجاءه أعرابي ينشده قصيدة طويلة - ذكرها الأزدي^(٢) - ، ولما لم يبلغ الشاعر منه ما أراد من عطاء هجاءه ، دُعبل الخزاعي نفسه ، لم يحظ من مالك بشيء مما أراد فوجاه^(٣) لذلك عندما شكّا مخلد حاله كان عارفاً بنفسية مالك بن طوق ، فبدأ قصيدته بالثناء على أصله ونسبه وبيته ثم عرض حاله وما فعل الدهر به وبعياله بأسلوب يستدرّ العطف ثم ختمها بالثناء على شجاعة مالك وعلى إغاثته لكل من تضيق به المسالك والدروب .

يقول أبو زكريا الأزدي^(٤) : رفع مخلد بن بكار الشاعر الموصلّي الى مالك بن طوق وهو والي الموصل رُقعة في مظلمة له ، فيها :
من بحر (الطويل) .

(١) تاريخ الموصل ج ٢ ص ٣٩٥ .

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٩٧ .

(٣) يروي لنا أبو هلال العسكري في كتابه (ديوان المعاني) ج ١ ص ١٨١ هجاء دُعبل الخزاعي لمالك بن طوق بقوله :

الناس كلهم يسعى لحاجته	ما بين ذي فرح منها ومهموم
ومالك ظل مشغولاً بنسبته	يرم منها خراباً غير مرموم
يبني بيوتاً خراباً لا أنيس بها	ما بين طوق الى عمرو بن كاثوم
يرم - بتشديد الميم - يصلح .	

(٤) تاريخ الموصل ج ٢ ص ٣٩٦ والقصيدة ناقصة وليس لها مطلع .

سَمَوْتَ إِلَى الْأَصْلِ الَّذِي الْحُوتُ أَشُهُ
 وَأَفْرَاعُهُ فَوْقَ السَّمَاءِ سَمَائِكَ^(١)
 وَبَيْتُ بَنَاهُ كُلَيْبٌ وَوَائِلُ
 وَعَمْرُو وَكُلْثُومٌ وَطَوْقٌ وَمَالِكُ^(٢)
 أُولَئِكَ بُنَاةُ الْبَيْتِ لَا تَسْتَطِيعُهُ
 يَدُ تَمِيطِرُ الْجَدْوَى وَأَبْيَضُ فَاتِكَ^(٣)

(١) الحوت - برج في السماء . أفراعه - في الكتاب بفتح الهمة والصواب بكسرهما لأنها ليست جمع (فرع) ، وجمع فرع هو فروع ، جمع تكسير ، ولا يجمع غير هذا الجمع ففي اللسان (فرع كل شيء أعلاه والجمع فروع ولا يكسر على غير ذلك) . وأفراع - بكسر الهمة - مصدر الفعل (افرع) بمعنى : طال وعلا ، والإفراع هو العلو .

السماك - في اللسان (نجم معروف والسمكان نجمان هما السماك الأعزل والسماك الرامح) . سمائك - جمع سماكة - مؤنث سماك - وذلك إذا أردنا القياس على عصابة - بكسر العين - عصابات ، ودعامة - بكسر الدال - دعائم . ولم أجد في المعاجم جمعاً للسماك ، وربما كانت سمائك جمع تكسير لسماك ، لأن جمع التكسير سماعي . ومعنى البيت - ارتفعت إلى الأصل الذي أساسه برج الحوت وعلوه يصل إلى سمائك بعيدة فوق السماك .

(٢) البيت - في اللسان : بيت العرب شرفها وبيت من بيوتات العرب الذي يضم شرف القبيلة وبيت الرجل عياله .

بناه - هذه الكلمة كسرت الشطر وحولت التفعيلة (مفاعيلن) إلى (فعولن) ولعل أصل الكلمة (تبناه) ، وتبناه أي اتخذها إيناً كناية عن الرعاية والعناية والحفاظ عليه ، وبذلك يتم الوزن والمعنى .

(٣) الجدوي - العطاء ، وكانت في الكتاب بالذال أي الجدوي وهو خطأ مطبعي . أبيض فاتك - السيف القاطع .

فأصبحَ في عَلياءَ لا شيءَ فوقَها
يَطُولُكَ إِلَّا اللهُ ثُمَّ الْمَلَائِكُ^(١)
فإلي- وبَيْتِي في ذَرَاكَ - تَرُوعُني
مَظَالِمُ قَدْ مَارَتْ عَلَيْهَا التَّرائِكُ؟^(٢)
دَرى اللهُ أَنِّي لم أَنَلِهنَّ مَا خَلا
شَجا بَجارِي الرُّوحِ والنَّفْسِ ماسِكُ^(٣)

(١) يطولك - يعلو عليك .

(٢) الذرى - الملجأ وكل ما استترت به . تروعي - تفزعني . مارت - تحركت بسرعة . الترائك - جمع تريكة ، وقد فسرهما محقق الكتاب بقوله : التريكة بيضة الحديد للرأس . ويقصد الخوذة التي يضعها الجندي على رأسه . وفي اللسان (التريكة هي المرأة التي تترك لا تزوج) . ومن سياق معنى البيت وما جاء بعده نجد الشاعر قد قصد بناته العوانس غير المتزوجات وهن مظلمته الحقيقية ، ولم يقصد بيضات الحديد كناية عن شدة المظالم . ثم انه جاء بكلمة (ترائك) مرة ثانية بعد ستة أبيات وهناك تعني بيضة الحديد كناية عن الحماية ، والشاعر يعاب عليه اعادة اللفظ نفسه بمعناه ذاته في القافية ، وفي اللسان (ويرى البعض أنه مهما كانت المسافة بين الابيات فهو عيب لانه عندهم دليل قلة مادة الشاعر وثروته المغوية) .

(٣) هذا البيت مضطرب وفيه الملاحظات التالية :

أ - أنلن - بفتح الهمزة - من الفعل (نال ؛ أي حصل على الشيء ، والصواب بضم الهمزة من الفعل الرباعي (أنال) ، وأنلن - بضم الهمزة - أي اصيرهن يحصلن على الشيء ، والضمير يعود على الترائك ، بناته غير المتزوجات . الشجا - ما اعترض في الخلق من عظم وغيره . بجارى - جمع بجرى اي يمر .

أَتَاهُ الدَّهَاءُ الْكَفَّارُ قَبْلَ ابْتِعَادِهِ

وَمِنْ قَبْلِ أَنْ يَسْوَدَّ مِنْهُ الْخَوَاسِكُ^(١)

فَأَسْرَحَ فِيهَا حَاشِرًا وَوَرَاءَهُ

فَرِيقٌ يُعَفِّي كُلَّ مَا هُوَ تَارِكٌ^(٢)

مُسْوَحٌ إِذَا تَنَضَّحَى تَنَشَّرُ لِلْقِرَى

وَبِاللَّيْلِ سَخِلٌ أَوْ فَصَالٌ يُوَارِكُ^(٣)

(١) الدهاء - لعله يقصد الدهاء ، وإلا فلا معنى للكلمة بهذه الصيغة ، وقد حذف الهمزة لضرورة الشعر . في اللسان [تقول : ما دهاك ؟ أي ما أصابك ؟ وكل ما أصابك من منكر من وجه المأمن فقد دهاك دهيًا ، والدهي لغة في الدهاء] وفي مختار الصحاح [الدهاء هو النكر - أي الأمر الشديد العظيم - ودواهي الدهر ما يصيب الناس من عظيم المصائب] . وهذا المعنى يوافي سياق البيت فهو يريد أن يقول : أتاه الأمر العظيم والمصيبة الكبرى . الكفار - الشديد التكفير الذي يخرج الإنسان من إيمانه . ويقصد شدة المصيبة أو الأمر العظيم . ابتعاده - تأتي (بعد) بمعنى هلك ومات ، وللمطاوعة نقول (ابتعد) ولعله يقصد أتاه الأمر العظيم قبل موته ، ولا يقصد قبل بعده عنه ، وذلك أقرب للمعنى .

الخواسك - جمع حسيكة . في القاموس (الحسك والحسيكة : الحقد والعداوة) . والخواسك الاحقاد والعداوات .

(٢) أسرح - جرى جرياً سهلاً . حاشراً - الحاشر هو الجامع أو المهلك . في اللسان (حشرت السنة مال فلان أي اهلكته) . الفريق - الطائفة أو الجماعة ، وربما قصد أهل بيته . يعني - يحو .

(٣) مسوح : جمع مسح - بكسر الميم وسكون السين - وهو ما يلبس من نسيج الشعر على البدن تقشفاً وقهراً للجسد . وقد استعار المسوح لمن =

فَارَامَ حَتَّى اسْتَقَّهْ تَبْرَأَ بِهِ

فَأَصْبَحَ دُرْعِي وَهُوَ مَحْلٌ دَكَدَكَ^(١)

وَكَّرَ عَلَيْهِ فِي الرِّجْوَعِ فَعَاثَهُ

كَعَاثَ فِي أَرْضِ أَذْرِ بَبِيجَانَ بَابَكَ^(٢)

= لوصف حالتهم من الفقر فشبههم بالرهبان المتقشفين .

تنشر - اصلها تنتشر ، حذفت إحدى التاءين لحقة اللفظ ، وتنتشر أي انبسط . القرى - ما يقدم للضيف . السخل - جمع سخلة ولد الشاة .

الفصال - جمع فصيل ، ولد الناقة اذا فصل عن أمه . البوارك - جمع باركة من الفعل (برك) ، وبرك البعير اذا استناخ ولصق صدره بالأرض .

(١) مارام - رام يريم بالمكان أو بالمكان أي زال عنه وفارقه . يقال :

مارام يفعل كذا أي ما زال ، وهي تعمل عمل كان . وتأني بمعنى ما برح .

اشتقه - اشتق الشيء اخذ شقه - بكسر الشين - أي جانباً واحداً منه :

وفي الانسان : اشتق الحصان أي اخذاً في الخصومة يميناً وشمالاً مع ترك القصد ، ولعله قصد هذا . تبرأ - التبر - بسكون الباء - مصدر الفعل (تبر) - بفتح

الباء - وتبره اهلكه وكسره . لكن هذه الكلمة كسرت الشطر ، وحولت التفعيلة (مفاعلن) الى (فاعلن) ولعل الصواب هو (تابراً) أي هالكاً ، اسم

فاعل ، وبذلك يستقيم الوزن والمعنى . هذا اذا لم تكن الكلمة مصحفة أو محرفة . درعي - الدرع قيص من زرد الحديد ، وهذه الكلمة لا مناسبة

لوجودها ، ولعلها محرفة من (زرعي) - بالزاي - والمعنى : اصبح زرعي محل مجذب في ارض لا تنبت شيئاً كناية عن افلاسه وعدم وجود مورد لعيشه ، ولا

علاقة للدرع بالهل وبالأرض الدكادك .

الحل - الجذب . دكادك - جمع دكدك او دكداك وهو من الرمل

ما تكبس او الارض الغليظة .

(٢) كر عليه - رجع وانقض عليه . عاثه - افسده . اذربيجان - =

وقد كان فنيء كلِّ والدٍ وإنْ نأتْ

منازِلُهُ عَنِّي يَدَا وَتَرَائِكُ^(١)

وَلَمْ يَكْ يُدْعَى مِثْلُ طَوُوقٍ وَمَالِكٍ

إِذَا لِيَوْمٍ وَهُوَ أَسْوَدُ حَالِكٍ^(٢)

— إقليم معروف في شمال العراق وإيران ، وتلفظ همزتها همزة وصل
لضرورة الشعر .

بابك — هو بابك الحرمي وقد خرج على الخلافة العباسية ، وولاية مالك
ابن طوق كانت زمن خروج بابك ، وقد شبه حالته بما فعله بابك في البلاد .

(١) الفنيء — في اللسان [الفنيء : الظل وفي الحديث : الفنيء على ذي
الرحم أي العطف عليه والرجوع إليه بالبر] وفي الكتاب جاءت مرفوعة
والصواب نصبها — بالفتحة — لأنها خبر مقدم للفعل (كان) ولو كانت إسمها
لقلنا في الشطر الثاني (يدَا وترائكا) — بنصب ترائك — وهذا يغير القافية
لأن الحرف الروي هو الكاف المضمومة ، فإذا قلنا (ترائكا) حصل عيب في
القافية هو (الإقواء) . نأت — بعدت . يدَا — صوابها (يد) بالرفع إسم كان
مؤخر وهي كناية عن النعمة والعطاء . ترائك — جمع تريكة وهي بيضة الحديد
توضع على الرأس كناية عن الحماية . ومعنى البيت : كانت النعمة والإحسان
والحماية هي من عطف وبر كل والد وإن بعدت صلته وعلاقته بي .

(٢) إذا — هذه الكلمة كسرت الشطر وحولت التفعيلة (فعولن) إلى
(فعو) وليس لها مناسبة في سياق المعنى ، ولعلها محرفة من كلمة (أذانا)
— بفتح الهمزة — أي إعلاما من الفعل (أذن) أي علم ، وبذلك يتم الوزن
والمعنى . في اللسان (أذن به أي علم به ، وقوله عز وجل : وأذان من الله
ورسوله إلى الناس أي إعلام ، والأذان يقوم مقام الإيذان وهو المصدر الحقيقي) .
ومعنى البيت : لم تكن دعوة أي شخص كدعوة طوق ومالك إعلاما عن
طلب الإغاثة في يوم أسود حالك — شديد السواد — كثير المصائب .

سُوفُ ابْنِ طَوْقٍ فِي الْوَغَى جَشَمِيَّةٌ

بُلَيْنَ إِلَى مَا تَحْتَ الطَّعَانِ الْعَوَاتِكُ^(١)

إِذَا اسْتَلَّهَا الْمِقْدَارُ يَوْمَ مَنِئِيَّةٍ

تَوَلَّى بَنُ أُرْدَتِ إِلَى النَّارِ مَالِكُ^(٢)

إِلَى مَالِكٍ يَرْمِي الْعِلَا كُلُّ مُمْلِقٍ

فَيَثْرَى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِ الْمَسَالِكُ^(٣)

(١) الوغى - الحرب . حشمية - نسبة الى جشم احد اجداد مالك .
بلين - بلي الثوب أي رث والضمير يعود الى السيف . الطعان -
التطاعن في الحرب والتضارب . العواتك - في اللسان : العاتكة : القوس اذا
قدمت واحمرت . والجمع عواتك .

والشطر الثاني مكسور سببه زيادة كلمة (الى) والصواب مجيء (الواو)
بدلها ليتم الوزن والمعنى ويكون الشطر (بلين وما تحت الطعان العواتك)
والواو تكون حالية أو استئنافية .

(٢) استل - انتزع واستل الشيء انتزعه واخرجه برفق .
المقدار - في اللسان (المقدار هو المقياس ، المبلغ ، الموت) . اردت الى
النار - أي اردته الى النار ، حذت المفعول به الضمير لانه معروف . وأردته
أي اسقطته واهلكته .

مالك - يقول المحقق لعله يقصد بمالك هذا مالكا خازن النار ، ويقابله
رضوان خادم الجنة ، ورأيه صائب .

(٣) يرمي العلا - يقصد العلا . في المعاجم : رمى المكان قصده . كل -
في الكتاب منصوبة والصواب رفعها لانها فاعل الفعل : يرمي . المملق - المفتقر ،
واملق أي افتقر . يثرى - يكثر ماله فهو ثري . المسالك - الطرق .

في الرثاء

مخلد الموصري ، في الرثاء ، رقيق العاطفة ، صادق الشعور ، يتر
للأحداث والأشخاص ، لا يتأثر بعصبية ولا بولاء . رثى عليّ بن الحسن
الهمداني - من اليمانيين - وكان صوفياً متنسكاً ، وقد تحدثنا عن مقتل
أبيه الحسن بن صالح الهمداني عندما خرج الى بعض أعمال الموصل وكان
والياً عليها سنة ١٩٣ هـ - ٨٠٨ م فأجتمعت عليه قبيلة (عَنَزَة) - وهي
من العدنانية - فقتلته ،^(١) [واتصل الخبر بعلي بن الحسن وكان متنسكاً
قد لزم المسجد يقرأ على رجل يكنى أبا قحطان ، فأتاه الخبر ومعه
عشرة نفر من الصوفية و ابو قحطان المقرئ ، فقام عليّ وقاموا معه
فاظلم بصره - فيما ذكروا - فجال في المسجد وجالوا معه وهو قابض على
لحيته ، وهمّ أن يطرح نفسه من المسجد الذي كان فيه ...] ويروي
ابو زكريا الأزدي أنه قال^(٢) : [إني أَرْضَى بقضاء الله وقدره واصبر
عليه ، وأخذ بلحيته نفسه وجذبها ، وقال : يُقتل أبي ؟ والله لأورِدَ دَنَهَا
النار] ثم جمع جموعه وصاروا الى بلد عَنَزَة فقتلوا خلقاً منهم .

ثم تطور الحال بعلي بن الحسن ، وفي سنة ١٩٨ هـ - ٨١٣ م أصبح
والياً على الموصل وأعمالها من قبل (طاهر بن الحسين) في خلافة المأمون

(١) تاريخ الموصل ج ٢ ص ٣١٤ .

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٣١٤ .

حتى سنة ٢٠٢ هـ - ٨١٧ م . وحدثت بين اليمانية - جماعة علي بن الحسن
 الهمداني - واليزارية - جماعة السيد بن أنس التليدي - فتنة كبيرة
 اشتدت فيها العصبية ووقعت بينهم حرب عنيفة قُتل فيها علي بن
 الحسن^(١) [ورجع السيد - بن أنس - ومن معه من الأزدي إلى الموصل
 برؤوس بني الحسن] سنة ٢٠٢ هـ . تألم مغلّد لهذا الحادث الفظيع ورثى
 علي بن الحسن وجماعته وحثّ اليمانية - القحطانيين - على الأخذ بالشارع
 على الرغم من انتائهم بالولاء للأزد . لكن مزاج مغلّد الموصل وورقة شعوره
 وتألمه مما حدث من فظاعة ، كل ذلك دفعه إلى الرثاء والحثّ على نصرة
 المظلوم^(٢) ، [فبلغ السيد بن أنس شعره فألى أن يقتل مغلّد ، وقال :
 لو حرّض علي غير عشيرتي لم أحفل به] .
 ومغلّد يقول في رثاء علي بن الحسن وجماعته^(٣) :

(من بحر الحفيف)

يا طولَ النّدى عليكِ السّلامُ
 كَلَمِينَا وَأَيْنَ مِنْكَ الْكَلَامُ^(٤)
 أخطأ الدهرُ فيكَ لا سَلِمَ الدّهرُ (م)
 وجارَتْ في صرْفِهَا الأيَامُ^(٥)

(١) المصدر ج ٢ ص ٣٤٤ - ٣٤٦ .

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٤٩ وقد أعادنا هذه العبارة كدليل

على مزاجه .

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٤٨ .

(٤) الندى - الجود والفضل والخير .

(٥) جارت - ظلمت . صرف الأيام - نائبتها وحدثها .

واقشَعَرَتْ لِهَذِمِكَ الْأَرْضُ شَجَوًّا
وبكى للسماءِ دَمْعٌ سَجَامٌ^(١)

لَيْتَ شِعْرِي أَيْرُ جَعُونَ إِلَيْهَا
قَبْلَ يَنْقِضِي عَلَيَّ هَذَا السَّقَامُ^(٢)

لِي أَتَيْنُ عَالٍ إِذَا مَا هَوَى النِّجْمُ (م)
كَمَا يَهْدِرُ الْحَمَامَ الْحَمَامُ^(٣)

لَوْ عَشِيرُ الَّذِي أَلَاقِي عَلَى رُكْنٍ (م)
شَمَامٍ إِذَا لَذَابَ شَمَامُ^(٤)

(١) اقشعرت الارض - تقبضت وتجمعت اذا لم ينزل عليها المطر .
شجواً - حزناً . سجام - كثير ، غزير .

(٢) يقضي - اصلها (أن يقضي) حذف (أن) الناصبة . جاء في
كتاب (مغني اللبيب) لأبن هشام ج ٢ ص ٦٤٠ [حذف أن الناصبة هو مطرد
في مواضع معروفة وشاذ في غيرها والفعل ينصب ويرفع واذا رفع بعد إضمار
(أن) سهل الأمر ومع ذلك فلا يقاس عليه ومنه الآية : أفسر الله تأمروني
أعبد - أي أن أعبد - وتسمع بالمعيدي خير من أن تراه ، والاصل ان تسمع ،
السقام - المرض .

(٣) هوى النجم - سقط ، وقد استعار النجم للممدوح .

يقول المحقق عن الشطر الثاني (كما يهدر الحمام) : لعل كلمة الحمام
الثانية تأكيد للأولى . وقد نصب الكلمتين ولكن هذا ليس صواباً ، لأن المؤكد
- بكسر الكاف - يتبع المؤكد - بفتح الكاف في علامة اعرابه ، والحمام الأولى
منصوبة والثانية مرفوعة . والصواب هو ان الاولى مفعول به والثانية فاعل
للفعل يهدر . وهدر الحمام صوت ، فكأن الحمام يصوت للثاني ويبكي وهذا
ما يفعله الحمام .

(٤) عشير : تصغير عشر ، واحد من عشرة . ركن ، جعلها المحقق =

لَيْتَ شَعْرِي أَعْنَدَكُمْ مِثْلُ حُزْنِي
 حَلُّ رَبِّي إِذَا عَلَيَّ حَرَامٌ ^(١)
 آلَ قَحْطَانَ فَأَغْضَبُوا - غَضِبَ اللَّهُ (م)
 عَلَيْكُمْ - مِثْلَ الْكَرَامِ وَحَامُوا ^(٢)
 أَسْدُ غِيلٍ إِذَا خَلَوْتُمْ وَلَكِنِّكُمْ (م)
 سَاعَةَ الْوَعَى آرَامٌ ^(٣)
 لَيْسَ يَشْفِي النُّفُوسَ لَمْسُ كَعُوبٍ
 وَقِيَّاسُ خَرَائِدٍ وَمُدَامٌ ^(٤)
 لَا وَلَا مُرْهَفُ الْحَسَامِ إِذَا مَا
 لَمْ يُعِينُ شَفَرَ تَيْهِ قَلْبُ حَسَامٍ ^(٥)

= في الشطر الثاني وهذا خطأ لان البيت مدور . شمام - جبل بالعالية من جهة نجد من المدينة الى تهامه .

(١) الحل - الحلال ، أي ما حلله ربي حرام علي لحزني عليهم .

(٢) حاموا - فعل أمر من (حامى) أي دافع ومانع .

(٣) الغيل - الاجمة ، الشجر الكثير الملتف ، والاسود في مثل هذا المكان تكون شرسة . الوعى - الحرب . آرام - جمع رثم وهو الظبي الابيض .

(٤) كعوب : لم اجد لهذه الكلمة معنى في المعاجم ولعل صوابها (كعاب) . في اللسان : الكعاب المرأة حين يبدو ثديها للنهود - أي للبروز والإشراف . القيان - جمع قينة وهي الامة أو المغنية . خرائد - جمع خريدة وهي المرأة البكر التي لم تمس قط . المدام - الخمرة .

(٥) مرهف - سيف مرهف أي مرقق الحد . الحسام - في الكتاب جاءت نكرة بدون (آل) وبذلك كسرت الشطر وغيرت التفعيلة الثانية =

ويرى قدامة بن جعفر^(١) [إنه لا فصل بين المديح والتأبين إلا في اللفظ دون المعنى ، فإصابة المعنى به ومواجهة غرضه هو أن يجري الأمر فيه على سبيل المديح] ثم يورد أبياتاً يحللها ويشني على قائلها لأنه أتى بالفضائل الأربع التي حددها في المدح وهي : العقل والشجاعة والعفة والعدل .

ومحمد الموصلي في رثائه السيد بن أنس التليدي ، كان صادق العاطفة ، موجه القلب ذا لوعة وحسرة على مقتله وفقده . وقد ذكر فيه هذه الفضائل الأربع التي حددها قدامة بن جعفر ، فجاءت مرثيته معبرة عن لوعته وصدق تعبيره .

كان السيد بن أنس والياً على الموصل وأعمالها من قبل الخليفة المأمون من سنة ٢٠٢ هـ - ٨١٧ م حتى سنة ٢١١ هـ - ٨٢٦ م ، وهو موصلي ومن بيت له مكانة في قومه ، وكان فارساً شجاعاً كريماً غنياً .

ويحدثنا أبو زكريا الأزدي عنه بقوله^(٢) : [حدثني محمد بن الحسن قال : حدثني عبدالله بن رُوَيْمٍ قال : سمعت أبي يقول : 'صَبَّ يوماً بين يدي السيد خمسمائة ألف درهم ، فجعل يفرقها على الرجال وعليه جُبَّةٌ مُلْحَمٌ - جنس من الثياب - وتحتها قميص قد تخرَّقَ كُمُّهُ فيكفُّه بيده - يجمعه ويضمه - ويدخله إلى كُمِّه ، حتى فرَّقَه وهو يقول :

= (متفعلن) ، وقد صححناها لتكون واضحة . لم يعن - لم يساعد من الفعل [اعان] أي ساعد . الشفرة - حذ السيف . قلب حسام - أي قلب كالسيف القاطع .

(١) نقد الشعر ص ٦١ .

(٢) تاريخ الموصل ج ٢ ص ٣٥٥ .

زَنُ لفلان كذا وزن لفلات كذا ، ويشير بيده فيظهر الخَرْقُ ،
 حتى فرَّقَ المالَ عن آخره . فقلتِ لِمُعَلَّقِ التليدي : يا عمُّ ألا يشتري
 لنفسه من هذا المال قيصاً بدينارين ويستريح من هذا الخسَلَقِ ؟ فقال
 السيدُ لِمُعَلَّقِ : بأيِّ شيءٍ سارَّكَ رُؤْيُيْ ؟ فأخبره المعلق . قال
 السيد : لو كانت همَّتِي في اللباس لبالغت فيه ، ولكن همَّتِي في إعزاز
 الوليِّ وإذلال العدو] .

هذه هي سيرة السيد في ولايته الموصل . وكان سبب مقتله كما يحدثنا
 ابو زكريا الأزدي في اخبار سنة ٢١١ هـ بقوله ^(١) [خرج السيد لحرب
 زُرَيْقَ بنِ علي بنِ صَدَاقَةَ الموصلِي الأزدي - بطلب من المأمون - في
 أربعة آلاف ، وجمع زريق أربعين ألف فارس وراجل وكان من
 عادة السيد اذا تراءت الخيلان أن يكون أول من يحمل ، فطرح عمامته
 ودعا الى نفسه ، فحمل وحمل عليه رجل ... فتصادما جميعاً ... فقتل] .
 فقال في ذلك مخلد الموصلِي يرثيه ^(٢) :

ما إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ

من فارسٍ لَيَقِيَّ الْكَتِيبَةَ أَوْ حَداً ^(٣)

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٧٣ . كان زريق بن علي قد طلب من
 المأمون محاربة بابك الخرمي فجمع له الجيوش وتقدم نحوه ، لكن الشتاء قسا
 عليه وعلى جيشه فترك محاربة بابك واستقر في ارمينيا واذربيجان واخذ يجمع
 خراجها ويستقل بها لذلك حاربه السيد .

(٢) تاريخ الموصل ج ٢ ص ٣٧٤ .

(٣) الكتيبة - قطعة من الجيش او الجماعة من الخيل .

فَإِذَا فِي شِدَّةٍ مُتَقَدِّمًا

وَيَظَلُّ بَيْنَ حِمَايَا مُتَرَدِّدًا^(١)

خَاتَمُهُ أَطْرَافَ الرَّمَاحِ فَلَمْ يَرَمْ

مَنْ مَعزِلِ الْأَزْدِيِّ حَتَّى قُدِّدَا^(٢)

مَا كَانَ سَيِّدَ قَوْمِهِ لَكِنَّهُ

قَدْ كَانَ فَارَسَهُمْ فَسُمِّيَ السَّيِّدَا

هذه قطعة من قصيدة لم يذكرها كلها أبو زكريا الأزدي . ثم رثي

مخلد الموصلِي السيد بن أنس بقصيدة أخرى ، وهي^(٣)

(من بحر الطويل)

ذُرَى مَرَّبَعًا خَلَّتْ لِشُعْلٍ حَلَاثِلُهُ

وَقَامَتْ عَلَيْهِ حَايِرَاتٍ ثَوَاكِكِلُهُ^(٤)

(١) الحماة - جمع الحامي أي المانع والمدافع . متردد - الذي يجيء

المرّة بعد الأخرى .

(٢) لم يرم - في الكتاب بضم الراء . من رام يروم أي أراد الشيء وطلبه ، والصواب بكسر الراء من رام يريم المكان أو بالمكان أي زال عنه وفارقه ، ولم يرم - بكسر الراء - أي لم يفارق مكان القتال . معزِل - مكان العزل والإنفراد . الأزدي - هو زريق بن علي قدد - قطع . والمعنى أن السيد ثبت في مكان معزِل الأزدي الذي تحصن به ليناله فقتل وقطع .

(٣) تاريخ الموصل ج ٢ ص ٣٧٥ .

(٤) يشرح المحقق الشطر الأول بقوله : [الذرى - ما انصب من الدمع .

ربع القوم - محلّتهم . ثعاله وثعل - أنثى الثعالب أو من أسماء الثعلب] =

= ولو جمعنا هذه المعاني التي ذكرها المحقق ما وجدنا للشطر الاول معنى ،
فكلمة (ذرى) اذا كانت مصدراً فما موقعها وموقع كلمة (مربعاً) من
الإعراب ؟ وما مناسبة مجيء الثعلب في هذا المطلع ، والشعر في الرثاء ؟ ولعل
الصواب هو : ذرى - أصلها ذري - فعل أمر للمخاطبة - أي دعي واتركي .
والذرى التي عنها المحقق فعلها (أذرى) . وفي اللسان [أذرت العين الدمع
أي صبته] . وفعل الأمر [أذري] للمخاطبة ، وبهذه الصيغة لا يتم الوزن .
المربع - منزل القوم في الربيع . خلت - خلا المكان أي رحل ساكنوه -
وصوابها : حلت - بالحاء واللام المشددة - وحل المكان وبالمكان أي نزل فيه ،
وبهذا يستقيم الوزن لأن البيت من بحر الطويل وقد غيرت هذه الكلمة التفعيلة
الثانية [مفاعيلن] الى [مفاعلن] وتغير المعنى ، لأن المربع لا يخلو من
حلائل القتيل والناثحات عليه بل يقمن بالمكان ولا يبرحنه ثعل - صوابها
[ثقل] - بالثاء المكسورة والقاف الساكنة - في اللسان [كانت العرب
تقول : الفارس الجواد ثقل على الارض ، فإذا قتل أو مات سقط به عنها ثقل ..
وقوله تعالى : وأخرجت الأرض أثقالها - سورة الزلزال - أي كنوزها
ومواتها ... وقيل معناه مواتها] .

وكان السيد فارساً جواداً وقد قتل فهو [ثقل] ، لهذا أرى ان كلمة
[ثقل] هي التي قصدتها الشاعر .

الحلائل - جمع حليلة وهي امرأة الرجل او الجارية . حاسرات - جمع
حاسرة وهي المرأة التي حسرت اي كشفت خمارها عن وجهها . ثواكله - جمع
ثاكلة وهي المرأة الفاقدة زوجها او ابنها او شخص عزيز عليها . فالشطر الاول
من المطلع هو [ذري مربماً حلت لثقل حلائله] . ومعنى البيت : اتركي مربعاً
نزلت به نساء الفارس الجواد القتيل وقامت عليه حاسرات ثواكله لان مثل هذا
المنزل لا يمكن البقاء فيه وقد ذهب فارسه وحاميته .

نَعَى السَّيِّدَ الْحَامِيَّ حَمَى الْعَزَّ مُغْرِبًا

وَلَمْ يَدْرِ أَوْ يَحْرُصْ لِمَا هُوَ قَائِلُهُ^(١)

كَانَ الَّذِي يَأْتِي بِهِ ضَعْفُ حَالِهِ

أَنَّاخَ بِهِ لَيْلُ بَيْطِيءٍ أَوَائِلُهُ^(٢)

بَأْيٍ يَدِ تَسْطُو اللَّيَالِي وَسَيِّدُ

صَرِيعُ رَدَى أَوْصَالِهِ وَمَقَاصِلُهُ^(٣)

تَمَرُّ بِهِ رِيحٌ وَقَطْرٌ كَانَهَا

كَأَيَّاهُ فِي الدُّنْيَا نَدَاهُ وَنَائِلُهُ^(٤)

(١) نعى - اخبر بالوفاة . المنرب - بفتح الميم - وقت غروب الشمس .

لكن المحقق لم يشكل الميم ونصب الكلمة ، وعلى هذا لم نجد فاعلاً للفعل [نعى] فإما ان يكون هذا البيت مسبوقاً ببيت آخر فيه ذكر الناعي وبذلك يكون الضمير في الفعل [نعى] يعود عليه وإما ان تكون كلمة [مغرباً] أصلها [مغرب] - بضم الميم وكسر الراء - وهو الفاعل ولعل هذا هو الصواب . في اللسان [اغرب الرجل اذا جاء بأمر غريب] واسم الفاعل منه [مغرب] فكأن المعنى المراد هو : اخبرنا بوفاة السيد حامى حمى العز شخص جاءنا بأمر غريب وهو لم يدرك أو يحرص على ما يقوله في مثل هذا الحادث الغريب ، لأن من الغرابة ان يكون السيد مقتولاً . ويؤكد هذا المعنى الذي قصدناه ما جاء في البيت التالي :

(٢) ضعف حالم : تخلط حالم ، واضغات احلام أي احلام مختلطة لا يمكن تأويلها . اناخ به - أي اقام عليه .

(٣) الردى - الهلاك ، السقوط . الاوصال - جمع وصل - بكسر الواو وسكون الصاد - والوصل : كل عضو على حدة .

(٤) القطر - المطر . ندها - جوده وفضله وخيره . النائل - العطاء .

تَهْدَمُ عَرْشُ الْأَزْدِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ
وَحَرَّتْ أَعَالِيهِ وَهَدَّتْ أَسَافِلُهُ^(١)
رَمَتْهَا الْأَعَادِي بِالْعُيُوتِ وَلَمْ تَكُنْ
تُوَاجِهُهَا إِلَّا بِبَلَحْظٍ تُخَايِلُهُ^(٢)
يَبْنَى يُصْدِرُ الْخَطَّيْثُ مِنْ مُهْجِ الْعِدَا
رَوَاءَ إِذَا مَا الرَّوْعُ ثَارَتْ قَسَاطِلُهُ^(٣)
فِيَا نَاعِيَاهُ لِلْخَلِيفَةِ أَنْعِيَا
فَقَدْ تُكَلِّتُ أَرْمَاحَهُ وَمَنَاصِلُهُ^(٤)
تَرَحَّلَ بَاغِي الْمَجْدِ يَنْحَدُو مَاطِيَهُ
وَحَامِي عُمُودِ الدِّينِ حَطَّتْ رَوَاحِلُهُ^(٥)

(١) خرت - سقطت .

(٢) رمتها بالعيون - أصابتها بالعيون . اللحظ - انظر بمؤخر العين .
تخايله - أي تتصوره كالخيال ، كناية عن الخوف والشعور بالذل إذا نظرت إليه .
(٣) يصدر - يرجع من أصدر أي رجع . الخطي - الرمح نسبة إلى
الخط وهي جزيرة في البحرين ترفأ إليها السفن . مهج - جمع مهجة أي الروح
أو دم القلب . العدا - بكسر العين - أي الأعداء ، وهو جمع لا نظير له .
رواء - جاءت في الكتاب بضم الراء والصواب بكسرها ، لأن الرواء - بضم
الراء - بمعنى المنظر الحسن ، أما الرواء - بكسر الراء - فهي جمع [ريان]
ضد العطشان ، وهذا هو المقصود من رجوع الخطي ريان من دماء الأعداء .
الروع - الحرب . القساطل - جمع قسطل وهو الغبار الساطع في الحرب .

(٤) الأرماح - جمع رمح . المناصل - جمع منصل - بضم الميم وضم
الصاد أو فتحها وهو السيف . الناعي - المخبر بالوفاة .

(٥) باغي المجد - طالبه . يحدو - يسوق الإبل ويغني لها . المطي - =

تَغَيَّرَ وَجْهُ الْأَرْضِ مِنْ هُلْكِ سَيِّدٍ
فَأَمْسَى رُواقُ الْمُلْكِ تَبْرًا حَبَائِلُهُ^(١)

وما زالَ مُذْ زارَ الثَّرَى شَلُو سَيِّدٍ
غَنِيًّا عَنِ السُّقْيَا وَفِيهِه أَنَامِلُهُ^(٢)

إذا لم يَجِدْ نَوْءَ السَّمَاءِ فَكَفَّهُ
تُرَوِّي الثَّرَى حَتَّى تَجُودَ خَمَائِلُهُ^(٣)

= الإبل جمع مطية . حط - نزل وهبط . الرواحل : جمع راحلة . والراحلة من الإبل القوي منها على الاحمال والاسفار . وحطت رواحله اي اقام ولم ينهض .

(١) هلك - الهلاك ولا يكون إلا في ميتة السوء . الرواق - سقف في مقدم البيت . او كساء مرسل على مقدم البيت من اعلاه . تبرأ - التبر - بفتح التاء وسكون الباء - الهلاك والكسر والفعل [تبر] - بفتح الباء - . الحبائل - جمع حباله - بكسر الحاء - وهي المصيدة التي يصاد بها .

(٢) الثرى - الثياب الندي الشلو - عضو الانسان بعد البلى والتفرق . السقيا - الاسم من السقي او الإستسقاء . الانامل - جمع املة وهي راس الاصبع .

(٣) نوء السماء - المطر ، ولم يجد - بضم الجيم - نوء السماء اي لم يكثر ولم يغزر ، من جاد يجوداً المطر اذا كثر وغزر ، لكن محقق الكتاب توهم بعبارة [لم يجد] فكسر الجيم حاسباً انها من الفعل وجد يجد وجوداً اي اصاب الشيء وادركه ، ثم نصب كلمة [نوء] على انها مفعول به ولم يجد فاعلاً للفعل [يجد] وبذلك ضاع معنى الشطر . ثم جعل كلمة [كف] مذكراً فقال [يروي] والصواب انها [مؤنثة] والفعل [تروي] بالتاء . الخوائل - جمع خميلة وهي الشجر الكثير الملتف . وقد صححت البيت حفظاً للمعنى .

وَإِنَّ قَضَاءَ الْأَرْضِ مِنْ قَبْرِ سَيِّدٍ
 لَمْخَضَرَةٌ تُرَبِّأُوهُ وَجَنَادُهُ^(١)
 وَلَوْلَا قَضَاءُ اللَّهِ مَا انْبَسَطَتْ يَدُ
 إِلَى سَيِّدٍ إِلَّا لِعُرْفٍ تُنَاوِلُهُ^(٢)
 فَعَيْنِي إِلَّا تَبْكِيَا الدَّمَ فَأَجْمُدَا
 فَكُلُّ إِمْرِي بِالْمَاءِ يَبْكِيهِ ثَاكِلُهُ^(٣)
 فَمَا كَانَ فِي الْأَحْيَاءِ حَيٌّ كَسَيِّدٍ
 كَمَا لَيْسَ فِي الْأَمْوَاتِ مَيِّتٌ يُعَادِلُهُ
 تَحَامَاهُ طَيْرٌ الْبَيْدِ أَمَا رَأَيْتَهُ
 فَلَا الطَّيْرُ تُفْرِيهِ وَلَا الطَّيْرُ تَأْكُلُهُ^(٤)
 فَحَامَتْ عَلَيْهِ شَاكِرَاتٍ لِسَيْفِهِ
 نَوَاهِضُهُ مِنْ فَوْقِهِ وَحَوَائِلُهُ^(٥)

-
- (١) التراب - التراب . الجنادل - جمع جندلة وهي الصخرة العظيمة .
 (٢) العرف - المعروف . تناوله - أصلها تتناولوه أي تعطيها ، حذف
 إحدى التاءين لحقة اللفظ .
 (٣) معنى البيت - يا عيني ابكيا بالدم لا بالدمع الذي يسكبه كل إنسان
 تاكل وإلا فأجمدا ولا تبكيا ، فمثل السيد لا يبكي عليه بالدموع .
 (٤) تحاماه - تتجنبه وتتوقاه . والأصل تتحاماه حذف إحدى التاءين
 لحقة اللفظ . البید - جمع بيداء وهي الفلاة . تفریه - في الكتاب بفتح التاء
 والصاب بضمها من الفعل الرباعي [أفرى] وأفرى الشيء : قطعه وشقه .
 (٥) حامت - دارت . النواهض - جمع ناهض وهو فرخ الطائر الذي
 وفر جناحه وقدر على الطيران . الحوائل - جمع حائل وهو من عمره حول أي
 سنة . ويريد أن الطيور تشكر سيفه لما ترك من قتلى العدو .

في الهجاء

للهجاء في نظر النقاد القدامى والمحدثين آراء في تعريفه وانواعه والجيّد منه وصفات الشاعر الهجّاء .

ففي رأي قدامة بن جعفر في حديثه عن (نَعْتُ الهجاء)^(١) : [إنه قد سهّل السبيل الى معرفة وجه الهجاء وطريقه ، ما تقدم في قولنا في باب المديح وأسبابه ، اذا كانت الهجاء ضد المدح . فكلما كثرت اضرار المديح في الشعر كان أهجى له ، ثم تنزل الطبقات على مقدار قلة الأهاجي فيها وكثرتها ومن الهجاء ايضاً ما تجمل المعاني كما يفعل في المدح فيكون ذلك حسناً اذا أصيب به الغرض المقصود مع الإيجاز في اللفظ .. ثم يُنظر في اقسام المديح واسبابه فيجري أمر الهجاء بحسبها في المراتب والدرجات والاقسام ويلزم ضد المعنى الذي يدل عليه اذا كانت المديح ضد الهجاء] .

ومعنى هذا أن قدامة بن جعفر يرى أن الهجاء ضد المديح ولما كان المديح أساسه الفضائل الأربع : العقل والشجاعة والعدل والعفة ، فكلما كان الهجاء ضد هذه الفضائل كان أجود في رأيه ، وتكون جودة الشعر شموله اضرار هذه الفضائل .

أما القاضي الجرجاني أبو الحسن علي بن عبدالعزيز ٣٦٦هـ - ٩٧٦م

(١) نقد الشعر ص ٥٥ - ٥٩

فيقول في كتابه (الوِ سَا طَةُ بين المتني وخصومه)^(١) : [فاما السَّهْوُ فابلغته ما جرى مجرى السَّهْوِ والتهافت ، وما اعترض بين التصريح والتعريض ، وما قربت معانيه وسهل حفظه وأسرع علوقه بالقلب ولُصوقه بالنفس . فاما القذف والإفحاشُ فَيَسَبَابُ مُحَضُّ ، وليس للشاعر فيه إلا اقامة الوزن وتصحيح النظم] .

وكان مغلد الموصل على رأي القاضي الجُرْجَانِي في هجاء أبي تمام - كما سنرى - فهو في معظم ما نظم ميَّال الى السخرية والهزل والى ما بين التصريح والتعريض ، وحيناً يميل الى التصريح لِيَوْجَعَ .

أما ابن رشيق في كتابه (العُمْدَة) فينقل رأي القاضي الجرجاني في الهجاء ويقول^(٢) : [وما يدل على صحة ما قاله صاحب (الوِ سَا طَة) وحسن ما ذهب اليه ، اعجاب الحُذَّاق من العلماء وفرسان الكلام بقول زهير في تَبَشُّكِهِ وَتَهَزُّلِهِ وتجاهله فيما يعلم :

وما أدري ولستُ إخالُ أدري

أَقَوْمُ آلُ حُصْنٍ أَمْ نِسَاءُ ؟

فإن تكن النساءُ مُخَبَّثَاتٍ

فحقٌ لكلُّ مُحَصَّنَةٍ هِدَاءُ^(٣)

(١) الوِ سَا طَة ص ٢٨ .

(٢) العُمْدَة ج ٢ ص ١٦٣ .

(٣) مخبثات - مخفيات . المحصنة - كل امرأة عفيفة فهي محصنة . امرأة متزوجة فهي محصنة . حق لكل محصنة - أي كانت حقيقاً بها أم لا . هداً . هدى العروس هداً الى زوجها أي زفها اليه .

إن هذا عندهم من اشد الهجاء وأَمْضُهُ [

ثم يتابع ابن رشيقي قوله في الهجاء^(١)] وجميع الشعراء يرون قَصْرَ الهجاء اجود ، وتركَ الفحش فيه اصب ، إلا جريراً فإنه قال لبنيه : اذا مدحتم فلا تُطيلوا المُما دحة ، واذا هجوتم فخالِفوا - أي اطيّلوا - وقال ايضاً : اذا هجوتَ فأَضِحْكَ وأنا ارى ان التعريض اهجى من التصريح لا تساع الظن في التعريض ، وشدة تعلق النفس به والبحث عن معرفته وطلب حقيقته . فاذا كان الهجاء تصريحاً احاطت به النفس علماً وقبلته يقيناً في اول وهلة ، فكان كل يوم في نقصان لنسيان أو ملل يعرض . هذا هو المذهب الصحيح ، على أن يكون المَهْجُوُّ ذا قدر في نفسه وحسبه ، فاما ان كان لا يوقظه التلويح ولا يؤلمه الا التصريح ، فذلك - أي لابد من التصريح - [.

ثم يؤيد ابن رشيقي رأيه قدامه بن جعفر في الهجاء ويُقرُّه على رأيه في سلب الفضائل من المهجُوِّ ليكون الهجاء جيداً فيقول^(٢) : [واجود ما في الهجاء ان يسلب الإنسان الفضائل النفسية وما تركَّب من بعضها مع بعض ، فاما ان يكون في الخلقة الجسمية من المعاييب ، فالهجاء به دون ما تقدم . وقدامه - بن جعفر - لا يراه هجواً البتّة ، وكذلك ما جاء من قبل الآباء والأمهات من النقص والفساد لا يراه عيباً ، ولا يعد الهجو به صواباً ، والناس - الا من لا يُعَدُّ قِلَّةً - على خلاف رأيه والذي اراه أنا على كل حال ان اشدَّ الهجاء ما اصاب الغرض

(١) العمدة ج ٢ ص ١٦٤ .

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ١٦٦ .

ووقع على النكتة ، وهو الذي قال خَلَفُ الْأَحْمَرُ^(١) بعينه] .

أما النقاد المحدثون فهم لا يبخسون قيمة الهجاء والهجائين ، بل يرون في بعض الهجاء قوة بناءة فيها تعديل الإعوجاج ، ووضعُ مُثلٍ علياً للأفراد أو الانظمة أو المجتمعات ، وهم وإن كانوا قد سخطوا وتمردوا وسيطر عليهم سلطان الغضب ، وسَفَّوا أحياناً في صورهم الشعرية ، إلا أن في ذاتهم شيئاً يريدون تقويم أعوجاجه^(٢) . [فالواقع أن في الهجاء قوة بناءة إلى جانب هذا المظهر الهدّام الذي هو أول ما يطالع المتصفح له ، فهو حين يهاجم شخصاً من الأشخاص أو نظاماً من النظم أو نزعة من النزعات ، يتصور في حقيقة الأمر حياة أخرى بأشخاصها ونظامها واسلوبها ، هي مثله الأعلى الذي يطمح إليه ويدعو له فالهَجاء له فلسفة في الحياة يريد أن يؤدبها إلينا] .

والهجاء ، في نظرهم أيضاً ، هو نقد والشاعر الهجاء إنسان نقاد^(٣) [تسترعيه حماقات الناس وأخطاؤهم بأكثر مما تسترعيه فضائلهم ، فهو لا يحسُّ مثله الأعلى بطريق مباشر ، ولا يفتن إليه إلا عن طريق ما يعارضه ويثيره . فكانه لا يهتدي لنفسه إلا بالقدر الذي يدفعه إليه حقه وغضبه . فهو لا يكتشف ذوقه ومواهبه إلا عن طريق السُّخط

(١) خلف الأحمر - هو خلف بن حيان الأحمر . كان راوية علامة وشاعراً بليغاً ، يصنع الشعر وينسبه إلى العرب فيشبهه كلامه كلامهم ، وعليه قرأ أهل الكوفة أشعارهم . وفي أواخر أيامه تنسك وترك الشعر والكلام . توفي سنة ١٨٠ هـ . البيان والتبيين حاشية ج ١ ص ١٢٠ .

(٢) كتاب الهجاء والهجاؤون ص ١٩ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٧ .

فاذا مات في نفسه السُّخْط وسكت عنه الغضب فقد معها كل ظِلٍّ
من ملكاته] .

^(١) [ويقسم النقاد الهجاء الى ثلاثة اقسام : هجاء شخصي وهجاء
اخلاقي وهجاء سياسي . فالهجاء الشخصي يعتمد في مهاجمته الافراد ،
وهو اقدم انواع الشعر الهجائي ، وهو في معظم الاحيان متأثر بالاهواء
الشخصية بعيد عن العدل والإنصاف لأنه لا يرتقي الى عناصر الحياة
العامة إلا في القليل من نواحيه ، فهو اقرب للسبب وأدنى الى أن
يتورط في الفحش واكثر ما يكون الهجاء الشخصي ناجحاً اذا
استطاع فيه الشاعر أن يخفي حقه نحو الافراد ، فيبدو غضبه منصباً
على رذائل سائدة وحماقات منتشرة ، لا تعرض فيها اسماء الاشخاص إلا
على سبيل التوضيح والمثال] .

^(٢) [ولما كان الهجاء الشخصي بعيداً عن الاستناد الى عاطفة انسانية
عامة ، كان اخلده وابقاه ماغلبت عليه الدُّعابة التي تغري الناس بروايته
والتندر به . والدُّعابة شيء موهوب غير مكسوب ، فهي مركبة في
طبائع الهجائين الممتازين الذين لا تكاد عينهم تقع على شيء حتى تتدفق
عليهم الوان الصور الفكاهية والاخيلة الساخرة التي تسعفهم بها البديهة .
وهي خاصة لا تدور على التفكير وإعمال العقل وكدّ الخيلة . فالصورة
تلمح في ذهن الهجاء الساخر الفطِن ، فتسعهف بالنكتة الصائبة بمجرد
وقوع عينه على موضع هجائه أو تخيله . وهذه الخاصة تصور ذكاء
كَمَاحاً وهدوءاً في الطبع وبروداً في الاعصاب ، يحتفظ بروح المرح

(١) المصدر السابق ص ١٩ .

(٢) الهجاء والهجاؤون ص ٤٠ .

بعيدة عن أن يطغى عليها الغضب فيفسدها ويذهب بها] .

وإذا كان الهجاء الشخصي نقد شخص ما ، في تصرفاته وسلوكه واعماله بأسلوب شعري ، فإن بعض نقاد الأدب اتجهوا الى دراسة الأدب من حيث هو فنّ ، والآثار الأدبية عندهم هي كل شيء بصرف النظر عن شخصية الأديب^(١) [واتجه آخرون الى دراسة حياة الأديب لا الأدب نفسه ، فوجهوا عنايتهم نحو تأثر الأدب بالأديب وصدوره عنه ، ولاحظوا في ذلك أن نفس الأديب هي المنبع الذي صدرت عنه هذه القطعة الادبيه فيجب أن تُدرس هذه النفس ليفهم ما يصدر عنها . فالكتاب الذي ألف والقصيدة التي نظمت لا يمكن فهمها حق الفهم إلا اذا فهمت نفسية القائل ، وهذا من غير شك صحيح الى درجة كبيرة ومن الحق أن قدراً من معرفة حياة الفنان لازم لفهم ما صدر عنه من فنّ ، وهو القدر الذي يرسل الضوء على الآثار الادبية] .

والذي وصلنا من شعر الهجاء لمحمد الموصلي هو خاص بأبي تمام الطائي الشاعر . ومحمد في هجائه لا يهتم بشعر أبي تمام ولا بفنه وعبقريته ولا بمنزلته بين الشعراء بل يركز على سيرته وانتسابه الى قبيلة طيء - القحطانية - وهو ليس بعربي ، ويعبث به بفن جديد من شعر الهجاء هو (فن الكاريكاتير) وهذا ما سنجده في حديثنا التالي :

(١) كتاب النقد الأدبي ص ٩ .

مخلد الموصلي وأبو تمام الطائي

بين مخلد بن بكار الموصلي وأبي تمام اختلاف في الموهبة الشعرية وفي المزاج والنشأة والسلوك والبيئة والظروف التي عاش كل منهما فيها وترعرع .

فمخلد - كما علمت - يتأثر سريعاً بالأحداث ولا يسكت عن خطأ أو ظلم ، يثور ضارباً عرض الحائط كل علاقة له بالخاطئء أو الظالم . نشأ في بيئة محافظة فيها العصبية القبلية الشديدة والصراع العنيف الى درجة الإقتتال وقطع الرؤوس ، وفيها التمسك والحفاظ على الحرمات والشعائر الدينية ، وحوله رجال الحديث يجتمعون لدراسته ويرحلون لجمعه وتحقيقه ، لذلك لم نعرف عن مخلد - فيما وصلنا عنه - التهتك وشرب الخمرة واللهو والعبث والمجون أو التكسب بالشعر ليلهو ويعبت بما يكسب من مال .

ومخلد يعرف منزلة شعر أبي تمام وشهرته بين الشعراء وعِلية القوم ونقاد الشعر . لكن شاعرآ له مزاج كمزاج مخلد لا يحس بمركب نقص تجاه شاعر كأبي تمام ، بل يحس بالتحدي والنقد الجارح .

أما أبو تمام فقد اختلف مؤرخو الأدب في نسبه . يقول أبو الفرج الاصبهاني^(١) [أبو تمام حبيب بن أوس الطائي من نفس طيء

(١) الاغانى ج ١٦ ص ٣٨٣ .

صَلِيبَةً^(١)، مولده ومنشؤه (مَنْسَبُجْ) بقرية منها يقال لها : جاسم .
ويقول ابو بكر الصولي^(٢) [وقال قوم : هو حبيب بن تدوس
النصراني ، فَغَيْرَ فَصِيرٍ أَوْسًا] .

ويرى الدكتور طه حسين في كتابه [من احاديث الشعر والنثر]^(٣) :
[انه تُيودُوس ، وهو اسم يوناني ، ويحدثنا الرواة القدماء - وأكثر
الذين يحدثوننا قد عاصروا أبا تمام وعاشوا بعد موته بقليل - أن تُيودوس
هذا كان نصرانياً يبيع الخمر في دمشق ، وان ابنه نشأ في حجره نشأة
نصرانية ولكنه أسلم وترك دمشق وذهب الى مصر فأقام فيها فترة] .
ويقول ابو بكر الصولي ايضاً^(٤) [وجدت في كتي : وقال الوليد
يهجو أبا تمام وهي قصيدة اخترت منها :

دَعِ الْيَهْجَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُ
وَأَقْصِدْ إِلَى الْحَقِّ إِنَّ الْحَقَّ مُتَّسِعٌ

واذكرُ حبيب بنَ أوشاناً ودُعُوته
فإنَّ طيِّباً اذا سُبِّوا بهِ جَزِعُ عُوا^(٥)

(١) صليبة - اصيلاً ليس من موالها ولا من حلفائها .

(٢) اخبار أبي تمام ص ٢٤٦ .

(٣) ص ١٥٤ .

(٤) اخبار أبي تمام ص ٢٥٢ . اختار الصولي عشرة ابيات وقد اخترت
منها اربعة فقط للأستشهاد . ولا ادري هل الوليد الذي هجا ابو تمام هو
مسلم بن الوليد أم هو شاعر آخر .

(٥) الدعوة بكسر الدال - في اللسان : الدعوة في النسب - بالكسر -
وهو أن ينتسب الإنسان الى غير ابيه وعشيرته . جزع - يقال جزع منه :
أي لم يصبر عليه فأظهر الحزن أو الكدر .

لو أَنَّ عَبْدَ مَنَافٍ فِي أُرُومَتِهِمْ
تَقَبَّلُوكَ لَمَّا ضَرَّ وَاوَلَا نَفْعُوا^(١)
مِرْبَاعُ قَوْمِكَ نَاقُوسٌ وَشَمْعَلَةٌ

فَاذْكُرْ مَرَايِعَهُمْ فِيهَا إِذَا ارْتَبَعُوا^(٢)

ثم يقول الصولي^(٣) [وقد ادعى قوم عليه بالكفر ، بل حققوه ، وجعلوا ذلك سبباً للطعن على شعره وتقبيح حسنه ... واحتجوا برواية أحمد بن أبي طاهر . وقد حدثني بها عنه جماعة أنه قال : دخلت على أبي تمام وهو يعمل شعراً وبين يديه شعر أبي نواس ومُسلم - بن الوليد - ، فقلت : ما هذا ؟ قال : أَلَلَاتُ وَالْعَزَى^(٤) وأنا عبدهما من دون الله مُنْذُ ثَلَاثُونَ سَنَةً] ثم يعقب الصولي على هذه الرواية ويدافع عن أبي تمام .

ويقول الدكتور محمد مندور في كتابه [النقد المنهجي عند العرب]

(١) الأرومة - بفتح الهمزة أو ضمها - أصل الشجرة .

(٢) المرباع - ربع الغنيمة الذي كان يأخذه الزعيم في الجاهلية .

الشمعلة - في اللسان [ناقة شمعلة ، سريعة ونشيطة ، والشمعل : الناقة

الخفيفة . وشمعلت اليهود شمعلة وهي قراءتهم إذا اجتمعوا في فهرهم - أي

عيدهم أو مدراسهم - وهو بيت تدرس فيه التوراة - يجتمعون اليه في عيدهم -]

المرايع - الأمطار في أول الربيع ، والمفرد مربع ، كذا في المعاجم . ولعله

قصد بالمرايع . جمع مرباع . وهو ربع الغنيمة قياساً على مثقال ومثاقيل .

ارتبع - بالمكان أي أقام فيه زمن الربيع .

(٣) اخبار أبي تمام ص ١٧٢ .

(٤) اللات والعزى - صنان من اصنام الجاهلية .

في حديثه عن أبي بكر الصولي وأبي تمام^(١) [ونحن عندما ننظر في الشعر الذي هُجِيَ به أبو تمام نجده يدور دائماً حول إتهامه في نسبه] ثم يورد آياتاً من أول قصيدة هجاها مخلد الموصلي أبا تمام ، ويتبين من القطعة التي رواها الصولي عن الوليد في هجاء أبي تمام ، ثم يقول :^(٢) [وإذن فأبو تمام كان يُتهم بأنه نَبَطِيٌّ وأنه ولد لأب نصراني ، ولربما كان في ذلك ما يفسر إتهامه بالكفر] .

وكان أبو تمام مولعاً بالخمر والغلمان الى درجة التبذُّل والاستهتار ، وليس هذا من سِيَمِ وإخلاق الرجال ذوي النفوس العالية في مجتمع يزن الرجال بميزان : العقل والشجاعة والعفة والعدل ، ومن كانت تلك صفاته فقد الشَّهامة والعِزَّة وجُبُنُ أمام الاحداث وكذب فيما يقوله ويدَّعيه .

وكان الأديب والمفكر الفرنسي (جورج ديهاميل) عضواً أكاديمية الفرنسية يقول :^(٣) [ان الرجل العبقرى الذى لا مبادئ له أشبه ما يكون بالعاهرة الجميلة التى يتمتع بها الرجال دون أن يمنعهم ذلك من احتقارها] . ويقول^(٤) : [الاخلاق هى التى ننفض الروح فى العبقرية وان كانت تبقى أحياناً غريبة عن النبوغ . والاخلاق اندر من العبقرية اذا اخذنا لفظة اخلاق بمعناها المطلق وهى اثنان ما يؤهب وهَبَّةُ

(١) النقد المنهجي ص ٦٢ .

(٢) النقد المنهجي ص ٦٢ .

(٣) كتاب (دفاع عن الأدب) لجورج ديهاميل : ترجمة الدكتور محمد

مندور مقدمة ص ٩ .

(٤) المصدر السابق ص ١٠٣ .

الاخلاق - من بين كل الهبات - هي الهبة التي نرجوها بكل حرارة وإلحاح للفنانين الذين نعجب بهم لقد عشت ما يكفي لأقول في عزم : انني اذا كنت أعجب بالفنانين الكبار فإنني اعجب اكثر من ذلك بالاخلاق الكبيرة فاتلمسها وأجلها [. فهذا الاديب المفكر لا يرى في العبقريّة ذاتها ما يبرر الإخلال أو يدعو اليه ، وأشد ما يغتبط به أن يعزز الخلق المواهب .

ثم يستمر ابو بكر الصولي في رواياته عن أبي تمام فيقول^(١) [حدثني محمد بن موسى ، قال : كان ابو تمام يعشق غلاماً خزرياً كان للحسن بن وهب^(٢) ، وكان الحسن يتعشق غلاماً كان لابي تمام روميّاً ، فرآه ابو تمام يعبت بغلامه فقال : والله لئن أعتقت الى الروم - أي سرت سريعاً اليهم - لئن كُضِنَ الى الخزر ، فقال ابن وهب : لو شئت لحكمتنا واحتكمت ، فقال : ابو تمام : أنا أشبهك بداؤد^(٣) - النبي - وأشبهني بخصمه ، قال الحسن : لو كان هذا منظوماً خفناه ، فأما منشوراً فهو عارض لا حقيقة له ، فقال ابو تمام :

(١) اخبار أبي تمام ص ١٩٤ .

(٢) الحسن بن وهب - كان كاتب الوزير محمد بن عبد الملك الزيات في خلافة الواثق .

(٣) قصة النبي داؤد وردت في القرآن الكريم في سورة (ص) الآية ١٧ - ٢٦ عن حديث النبي داؤد مع الخصمين اللذين كان لأحدهما تسع وتسعون نعجة وآخر له نعجة واحدة .

أبا عليّ لَصَرَفِ الدَّهْرِ وَالْيَغِيرِ

وللحوادثِ والأَيامِ وَالْيَعْبَرِ^(١)

الى آخر القصيدة التي فيها كثير من الفحش [.

ثم يستمر الصولي في رواياته ويقول^(٢) : [روى مسعود بن عيسى ،

قال : حدثني صالح غلام أبي تمام وكان حسن الوجه ، قال : دخل ،

ابو تمام على الحسن بن وَهْب وأنا معه ، وعلى رأسه جارية ظريفة فلوّما

اليها الحسن يُغريها بأبي تمام فقالت :

يا بْنَ أَوْسٍ أَشْبَهْتَ فِي الْفِسْقِ أَوْسًا

وَاتَّخَذْتَ الْغُلَامَ إِلْفًا وَعِرْسًا^(٣)

فاجابها ابو تمام] .

ويقول ابو الفرج الاصبهاني^(٤) : [خرج ابو تمام الى خالد بن يزيد

ابن مَرْزُودٍ ، وهو بآرمينية فامتدحه فاعطاه عشرة آلاف درهم ونفقة

لسفره ، وقال : تكون العشرة آلاف موفورة ، فإن أردت الشُخوصَ

- أي الذهاب - فَأَعِجِلْ ، وإن اردت المُقام عندنا فلك الحباء واليبرُ

- أي العطاء - قال : بل أشُخص - أذهب - فودّعه . ومضت أيام

وركب خالد يتصيد فرآه تحت شجرة وبين يديه زُكْرَةٌ - وعاء خمر -

فيها شراب و غلام يغنيه بالطنبور ، فقال ابو تمام ؟ قال : خادمك

(١) صرف الدهر وغير الدهر - أحداثه ونوائبه .

(٢) اخبار ابي تمام ص ٢١٠ .

(٣) الألف - الصداقة . الأوس - الذئب أو يقصد والده .

(٤) الاغانى ج ١٦ ص ٣٩١ .

وعبدك ، قال : ما فعل المال ؟ فقال :

عَلَّمَنِي جُودَكَ السَّاحَ فَـ

أَبْقَيْتُ شَيْئًا لَدِيٍّ مِنْ صَلَاتِكَ^(١)

مَا مَرَّ شَهْرٌ حَتَّى سَمَحْتُ بِهِ

كَانَ لِي قُدْرَةٌ كَمَا قَدَّرْتَكَ

تُنْفِقُ فِي الْيَوْمِ بِالْهَبَاتِ وَفِي السَّاعَةِ (م)

مَا تَجْتَنِيهِ فِي سَنَتِكَ^(٢)

فَلَسْتُ أَدْرِي مَنْ أَيْنَ تُنْفِقُ لَوْ

لَا أَنَّ رَبِّي يَمُدُّ فِي هَبَّتِكَ^(٣)

فأمر له بعشرة أخرى ، فأخذها وخرج [.

ويقول ابن المعتز في كتابه (طبقات الشعراء)^(٤) : [حدثني ابو الأسود الموصلي ، قال : قال الحسن بن رجاء الضحاك : كنا مع أمير المؤمنين المعتصم^(٥) بالرقة ، فجاء أبو تمام ، وأنا في حرّ أقتي - سفينتي - فجعل ينشدني ويلتفت الى الخدم والغلمان الوقوف بين يدي ، ويلاعبهم

(١) الساح - الجود والعطاء والمساهلة . الصلة - العطية والإحسان والجائزة .

(٢) اجتني - الشيء أي جناه أو قطفه .

(٣) الهبة - هي تمليك الشيء بلا عوض .

(٤) طبقات الشعراء ص ٢٨٣ .

(٥) الرقة - البستان المقابل للتاج من دار الخلافة ببغداد ، وهي الجانب

الغربي ، وهو عظيم جداً جليل القدر . معجم البلدان ج ٣ ص ٦٠ .

ويغامزهم ، وكان الطائي من اكثر الناس عبثاً ومزاحاً . فقلت له : يا طائي قد ظننت أنك ستصير الى أمير المؤمنين مع الذي أرى من جودة شعرك فأنظر^١ : إنك ان وصلت اليه لا تمازح غلاماً ولا تلتفت اليه ، فإنه من أشد الناس غيرة ، وإني لا آمن ان وقف منك على شيء أن يأمر غلمانه فيصفعك كل واحد منهم مائة صفعة . فقال : اذا أخرج من عنده ربيد^٢ ر - اكياس توضع فيها الدراهم - مملوءة صفعاً] .

ومهما قيل في هذه الروايات عن أبي تمام ، فإنه كان مهتكمًا ، ومثل هذا السلوك يحتاج الى المال ، والمال لا يحصل عليه الشاعر إلا بالتكسب واطاعة الكرامة وارقة ماء الوجه ، ومحاولة التفنن بالمدح الكاذب وخلق الصور الخيالية لشخص المدح ليستدر ما بين يديه أو جيبه أو خزانته من مال .

وابو تمام لم يقصّر في هذا الميدان ، بل كان الفتن المبدع والسباق المجتبي فيه ، فاته الهدايا والعطايا من كل جانب ، فمدح الخليفة والأمراء والقواد والولاة وكل من وجد فيه المال والجود والعطاء . واذا وجد الباب موصداً أمامه ألح في الطلب حتى ينال ما يريد .

يقول الصولي^(١) : [حدثنا محمد بن اسحاق النحوي ، قال : حدثنا ابو العيناء عن علي بن محمد الجُرْجاني قال : اجتمعنا بباب عبد^(٢) الله

(١) اخبار أبي تمام ص ٢١١ .

(٢) عبدالله بن طاهر بن الحسين : كان ذا منزلة عند الخلفاء ، وبخاصة عند المأمون ، وهو شاعر مطبوع ، معروف بالسباحة والشجاعة . الاغانى ج ١٢ ص ١٠١ .

ابن طاهر من بين شاعر وزائر ومعنا ابو تمام ، فَحَجَبْنَا يَامَا ،
فكتب اليه ابو تمام :

(أَهَذَا الْعَزِيزُ قَدْ مَسَّنَا الضَّرُّ) م
جميعاً وأهلنا أشتات^(١)
ولنا في الرُّحَالِ شيخٌ كبيرٌ
ولدينا بضاعةٌ مُزَجَّاةٌ^(٢)
قلَّ طَلَابُهَا فَاضَتْ خَسَاراً
فَتَجَارَاتُنَا بِهَا تُرَّهَاتٌ^(٣)
فَأَحْتَسِبُ أَجْرَنَا (وَأَوْفٍ لَنَا الْكِيلَ) م
وصدَّقْ فَإِنَّا أَمْوَاتٌ^(٤)

فضحك عبدالله لما قرأ الشعر ، وقال : قولوا لأبي تمام : لا تعارِودُ
مثل هذا الشعر ، فإن القرآن اجلُّ من ان يُستعار شيء من الفاظه
للشعر ، قال : وَوَجَدَ - غضب - عليه] .

(١) اقتبس في الشطر الاول جزءاً من الآية في سورة يوسف رقم ٨٨
وهي (فلما دخلوا عليه قالوا : يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر) . أشتات -
متفرقون .

(٢) الرِّحَال - جمع رحل - بفتح الراء وسكون الحاء - وهو ما يجعل
على ظهر البعير كالسرج أو مسكن الرجل وما يستصحبه من الاثاث .
بضاعة مزجاة - قليلة .

(٣) ترهات - جمع ترهة - بتشديد الراء - وهي الاباطيل والدواهي .

(٤) اقتبس في الشطر الاول جزءاً من آية البيت الاول (وأوفٍ لنا

الكيل) - سورة يوسف آية ٨٨ .

وقد عابه بعض الشعراء وهجوه وعاتبوه على هذا السلوك ، ويحدثنا الصولي بقوله^(١) : [عزم ابو تمام على الإغدار الى البصرة والأهواز لمُدح من بهما ، فبلغ ذلك عبد^(٢) الصمد بن المُعَذِّل ، فكتب اليه قصيدة منها :

انتَ بين اثنتين تَغْدُو مع الناسِ (م)
وكلتاها بِوَجْهِ مُذالِ^(٣)
لستَ تَنفَكُ طالِباً لوصولِ
من حبيبٍ او طالِباً لِنِوالِ^(٤)
ايُّ ماءٍ لماءٍ وجهك يبقى
بعد ذُلِّ الهوى وذُلِّ السُّؤالِ ؟

فلما قرا الشعر قال : قد شغل هذا ما يليه ، فلا اَرَبَ^(٥) لنا فيه واضرب عن عزمه [.

وابو تمام كان يحصل على المال الكثير ويُنفقه في الطرق المحببة الى

(١) اخبار أبي تمام ص ٢١١ .

(٢) عبد الصمد بن المعذل - هو ابو القاسم عبد الصمد بن المعذل بن غيلان ... ينتهي نسبه الى ربيعة بن نزار . شاعر فصيح من شعراء الدولة العباسية . بصري المولد والمنشأ ، وكان هجاء خبيث اللسان ، وكان ابوه وجده شاعرين . الاغاني ج ١٣ ص ٢٢٦ . جاءت ترجمته في كتاب اخبار أبي تمام في حاشية ص ٣٤ أنه مصري المولد والمنشأ . ولعل هذا خطأ مطبعي .

(٣) مَذال - مهان .

(٤) النوال - العطية .

(٥) الارب - الحاجة .

نفسه . والطرق المعوَّجة لا تُبقي ولا تذر من المال شيئاً .^(١) [قدم على أبي تمام رجل من إخوانه ، وكان قد بلغه أنه قد افاد واثرى ، فجاءه يستمичه ، فقال له ابو تمام : لو جمعتُ ما آخذ ما أحتجت الى أحد ، ولكنني آخذ وأنفق، وسأحتال لك ، فكتب الى أبي^(٢) سعيد بقصيدة ... فوجه لأبي تمام بثلاثمائة دينار وللزائر بمائتي دينار قال : فأعطاه ابو تمام خمسين ديناراً حتى شاطره] .

(١) اخبار أبي تمام ص ٢٢٨ .

(٢) ابو سعيد - هو محمد بن يوسف الثغري الطائي الهمدي ، كان من

قواد حميد الطوسي ، وقد ذكر الصولي لابي تمام قصائد في مدحه ص ٢٢٨ .

أبو تمام في الموصل وصلته بمخلد

كان بين أبي تمام والحسن بن وهب ، كاتب الوزير محمد بن عبد الملك الزيات ، في خلافة الواثق ، صُحبة طويلة ومجالس أنس وطرب ، نظم فيها أبو تمام شعراً كثيراً . يقول الصولي^(١) [عُيِنِي الحسن بن وهب بآبي تمام وكان يكتب لمحمد بن عبد الملك الزيات ، فولاه بريد الموصل فأقام بها سنة ومات في جمادي الأولى سنة إحدى وثلاثين ومائتين ، ودفن في الموصل] .

جاء أبو تمام إلى الموصل ، وكانت شهرته قد سبقته ، لأنه كان قد ملأ الأسماع واشغل شعراء عصره وتزعمهم عن جدارة . ويجانب شعره كانت سيرته قد لاكتها الألسن وهجاه شعراء كثيرون طاعنين نسبه واستهتاره وتكسبه بالشعر ، لذلك فقد وجد مخلد الموصلي في أبي تمام ميداناً خصباً للهجاء يصول ويجول فيه عابثاً ساخرأ هازلاً . ومخلد في هذه السنة كان شيخاً جاوز الستين عاماً وأبو تمام في الأربعين من عمره .

اتصل مخلد بأبي تمام ، ويظهر أنه كان يكثر من زيارته وقد زالت بينهما الحُجبُ . يقول الصولي في أول حديثه عن أخبار أبي تمام مع مخلد بن بكّار الموصلي :^(٢) [دخل أبو تمام الحمام ومخلد فيه ، وإذا

(١) أخبار أبي تمام ص ٢٧٢ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٣٤ .

عليه شعر كثير كأنه قد ألبس مُنْسَحًا - كساء من شعر - فقال له ابو تمام : ما هذا ؟ قال : حذراً من لسانك أن ينُسبني الى اليبغاء [.
ويقول ابن المعتز^(١)] قدم مغلد على أبي تمام فقال : هل لك في دخول الحمام - وكان له في داره حمام ، وكان بيتاً واحداً طوله اربعة أذرع ، وكان يُوقَدُ^(٢) بِسِرْقَيْنِ حِمَارٍ مَرِيَسِيٍّ^(٣) كان عنده فلا يحتاج الى غيره - فدخل فلم يلبث شيئاً أن خرج ، فقال له : لِمَ لَمْ تلبث حتى تُعْرِقَ ؟ فقال مغلد : يا ابن البظراء^(٤) ، القعود في الشتاء يورث البواسير^(٥)] .

(١) طبقات الشعراء ص ٢٩٨ .

(٢) السرقين - الزبل .

(٣) حمار مريسي - نسبة الى بلد في صعيد مصر كانت تنسب اليه الحمر المريسية وهي من أجود الحمر .

(٤) البظراء - يا ابن البظراء - عبارة يشتم بها الرجل . وأمة بظراء أي طويلة البظر . والبظر لحمه بين حرفي فرج المرأة وهي القلفة التي تقطع في ختان البنت .

(٥) البواسير - مرض معروف .

مخلد الموصل يهجو أبا تمام

لم يكن بين مخلد وأبي تمام خلاف شخصي أو خصومة من أي نوع قبل مجيئه الى الموصل . وربما لم يرَ احدهما الآخر ، لذلك لم يكن هجاء مخلد باعثة النعمة أو الشار ، لكن مزاج مخلد واهتزازة لكل ما يجده مخالفاً لذوقه والعرف السائد في بلده ، كل هذا يدعو الى الثورة فالهجاء . هجاء ابن عمه (كامل الموصل) لما رآه يُقريء الشعر في المسجد الجامع في الموصل ، وهو ليس أهلاً لهذا ، فصعد المنارة صائحاً هاجياً ابن عمه - كما علمنا - .

ولعل مخلد قد تأثر برأي دُعَيْل^(١) الخُزاعيّ الشاعر في أبي تمام عند تردده^(٢) على الموصل ، وخُزاعة حي من الأزد ، والأزد كانت الغالبة على الموصل وقتئذ . وبين دُعَيْل وأبي تمام خصام وهجاء . وكان دُعَيْل يدّعي بأن أبا تمام يسرق الشعر ويتتبع معانيه فيأخذها ،

(١) دُعَيْل - هو دُعَيْل بن علي بن رزين ، بني من خُزاعة ، وخُزاعة حي من الأزد . نشأ بالكوفة متعصباً لقومه على العدنانية . وكان هجاء خبيث اللسان لا يسلم منه كبير ولا صغير حتى الخلفاء . شعره من النوع المطبوع ذي الاسلوب القوي لتأثره بنزعتـه الجريئة في وجه الدولة العباسية وبتعصبه للطالبيين . توفي سنة ٢٤٦ هـ .

- المنتخب من شعر العرب ج ٢ ص ٢٣٦ .

(٢) تاريخ الموصل ج ٢ ص ٣٩٧ .

وكان يكثر من ذم أبي تمام ويضع من قدره في كل مجلس ، وقد ذكر لنا الصولي^(١) احاديث كثيرة رويت عن دعبل في أبي تمام .

والآن اجتمع مغلد بأبي تمام ، وابو تمام فريسة ثينة لابد من أن يهجم عليها فيسخر ويهزل ويعبث ويداعب ، وله مجال واسع في الحديث عن اصله ونسبه وسلوكه .

ومغلد كان يعلم انه أمام شاعر فحل ، وان الجدل لا ينفع معه ، وليس له طريق غير السخرية والهزل^(٢) . [والواقع ان التعمق في الخيال والإسراف في الصناعة الشعرية وفي تكلف الجزالة وسمو العبارة يضعف الهجاء ويفقده قيمته ويباعد بينه وبين الواقع ، لذلك كان اصحاب الصنعة من الشعراء اقل الناس تفوقاً وإصابة في هذا الفن . فهجاء أبي تمام فاتر لأنه يقوم على الصناعة ولا يقوم على تقرير الواقع ... والهجاء يعتمد في تأثيره على الوضوح الخلاب الذي يضحك القارئ اول ما يقرأه ، فهو كالنكتة إذا لم تفهم إلا بعد تفكير فترت وبردت وذهب بريقها] .

ونحن لو تأملنا شعر الهجائيين : كالخطيئة وجريير والفرزدق والأخطل ، وما رواه ابو تمام من شعر الهجاء في كتابه (ديوان الحماسة) وما ذكره قدامه بن جعفر في (نقد الشعر) وابو هلال العسكري في (ديوان المعاني) وابن رشيق في (العمدة) وما اثنوا عليه من شعر الهجاء ، لو تأملنا كل هذا ما وجدنا قصيدة في الهجاء تسير في الطريق

(١) اخبار أبي تمام . ذكر الصولي دعبلا في اكثر من عشر مناسبات .

راجع فهرس الاعلام في الكتاب .

(٢) الهجاء والهجاءون ص ٣٣ .

الذي سار عليه مغلد الموصل في اسلوبها وطول نفسها ، لذا فقد اعترف ابو بكر الصولي بأن هذا (فنّ) - كما سنرى - على الرغم من تعصبه الشديد لأبي تمام وغمزه لكل من خالفه ونقده وهجاه ، ومنهم مغلد الموصل . يقول الصولي ^(١١) [كان أول شعر هجا به مغلد أبا تمام قوله :

أنتَ عندي عربيُّ الأُصلِ ما فيكَ كلامُ]

والقصيدة هجاء في نسب أبي تمام وسلوكه ، وقد طعن به معظم من هجوه . ولكن ما الذي فعله مغلد ؟؟

إنه جعل القصيدة من بحر (الرَّمَل) ^(١٢) لسرعة النطق بها ، ثم قال له : أنتَ عندي عربيُّ عربيُّ أصيل ، ليس في ذلك كلام أو شك ، منسوب الى جبل (أَجَا) - وكانت طيء تسكن بين جبلي أَجَا وسَلَمَى - ثم بدأ يعبث بخلقه بأسلوب المبالغة الغريبة الهازلة الساخرة (الكاريكاتير) فيقول له : إن شعر فخذيك نبات الحُزامى والثُّمام ، وضلوع صدرك كالسهم وشجر البَشام الطيب الرائحة ، وقذى عينيك كالصمغ ، وشعر ناصيتك كنبث السَّغام ، وانت بهذه الحلقة العجيبة لو تحركت واهتزت لخافت منك نعام وظباء ويرايبع . ثم : أنا ما ذنبي إذا خالفني الناس فيما قلته واتت منك صفات نَبِطِيَّات لثيمة ، وقفاك دون وجهك لا يدل على عراقة في الاصل . ثم قالوا : إنك نَبِطِيٌّ تُنسب الى قرية جاسم

(١) اخبار أبي تمام ص ٢٣٤ .

(٢) القصيدة من بحر [مجزوء الرمل] لتزداد سرعة النطق به [وسمي الرمل رملاً لسرعة النطق به ، وهو في اللغة الإسراع في المشي ويوجد الرمل في الحزن والفرح والزهد وضروب الموشحات ، وهو قليل في الشعر الجاهلي] كتاب فن التقطيع الشعري والثقافية ج ٢ ص ١٠٨ .

- من اعمال بلاد الشام - لقد كذبوا ، ما انت إلا عربي أبي ، بيتك في
جبل سلمى - من مساكن طيء - وحوله اشجار تستظل بها الطباء ولك
من إرث آبائك قيسي وسهام ونخيل دنا قطوفها ، وانت عندي عربي
عربي والسلام .

هذا الاسلوب الهازل الساخر (الكاريكاتير) هو أشد على النفس
مرارة من الاقذاع والفحش الذي تعافه النفس ويجهّ الذوق .
والقصيدة هي ^(١) :

أنتَ عندي عربيُّ الأُصلِ ما فيكَ كلامُ
عربيُّ عربيُّ أَجايُّ ما تُرامُ ^(٢)
شعْرُ فَنَحْذِيكَ وساقِيكَ (م) خِزَامِي وَثُغامُ ^(٣)
وضلوع الشَّلْوِ من صَدِّ رِكَ نَبْعُ وبِشامُ ^(٤)
وقدَى عَيْنِيكَ صَمْغُ ونَواصِيكَ ثُغامُ ^(٥)

(١) اخبار أبي تمام ٢٣٤ .

(٢) أجا - جبل في نجد كانت قبيلة طيء تسكن بينه وبين جبل سلمى .
ما ترام - أي من الصعب طلبك والوصول اليك .

(٣) الخزامى - نبت زهره من أطيب الأزهار . الثغام - نبت ضعيف
لا يطول .

(٤) الشلو - العضو والجسد من كل شيء ، وكل مسلوخ أكل منه شيء
وبقيت منه بقية ، والجمع أشلاء . النبع - شجر تتخذ منه السهام والقسي .
البشام - شجر طيب الرائحة تتخذ عيّدانه لإخراج ما دخل بين الأسنان
من طعام .

(٥) قدَى العين - هو الرمص . النواصي - جمع ناصية وهي شعر مقدم
الرأس اذا طال . ثغام - شجر ابيض الزهر .

لو تحركت كذا لِإِنْجَفَلَتْ مِنْكَ نَعَامُ^(١)
وِظَبَاءُ مُنْخِصَاتُ^(٢) وَيَرَابِيعُ عِظَامُ^(٣)
أَنَا مَا ذَنْبِي إِنْ خَا^(٤) لَفَنِي فِيكَ الْأَنَامُ^(٥) ؟
وَأَتَتْ مِنْكَ سَجَايَا^(٦) نَبْطِيَّاتُ^(٧) لِسَامُ^(٨)
وَقَفَا يَحْلِفُ أَنْ مَا^(٩) عَرَّ قَتْ فِيكَ الْكَرَامُ^(١٠)
ثُمَّ قَالُوا : جَا سِمِي^(١١) مِنْ بَنِي الْأَنْبَاطِ خَامُ^(١٢)
كَذُبُوا ، مَا أَنْتَ إِلَّا^(١٣) عَرَبِيٌّ مَا تُضَامُ^(١٤)

(١) لو تحركت كذا - لعله أراد حركة خاصة كاللهز أو القفز
إنجفلت النعامة أي هربت بسرعة لأن خلقتك عجيبة .

(٢) الظباء - جمع ظبية أثنى الغزال . نخصات - النخصة التي أصابت
مرعى خصباً . يرابيع - جمع يربوع - نوع من الفأر قصير اليدين طويل
الرجلين .

(٣) الأنام - الخلق .

(٤) السجايَا : جمع سجيهِ أي الطبيعة والخلق . نبطيات : نسبة الى
النبط وهم نوع من المعجم كانوا ينزلون الكوفة والبصرة وبلاد الشام ثم استعمل
في اخلاط الناس وعوامهم .

(٥) عرق - بتشديد الراء - أي صار عريقاً في الشرف . وهو يقصد
ان مظهر قفاك دون وجهك يقسم بأنك لست من عرق كريم .

(٦) جاسمي - نسبة الى قرية جاسم - من بلاد الشام - مسقط رأس
أبي تمام .

خام - في اللسان [الخام جمع خامه وهي من الزرع اول ما ينبت على
ساق واحدة ، وقيل هي الشجرة الغضة الرطبة ، والخام من الجلود ما لم يدبغ]
ولعله استعار الشجرة الغضة تشبيهاً له بفتوته وشبابه من بني الانباط .

(٧) ما تضام - ما ينتقص منك ولا يظلمك أحد .

يَيْتُهُ مَا بَيْنَ سَلَمَى وَحَوَالِيهِ سِلَامٌ^(١)

ولهُ مِنْ إِزْثِ آبَاءِ (م) قِيسِيٍّ وَسِهَامٌ^(٢)

وَنَخِيلٌ بِاسِقَاتٍ قَدْ دَنَا مِنْهَا صِرَامٌ^(٣)

أَنْتَ عِنْدِي عَرَبِيٌّ عَرَبِيٌّ وَالسَّلَامُ

أما القصيدة الثانية في هجاء أبي تمام فقد جعلها مخلد من بحر [الرَّجَز] لتكون أخف في اللفظ وأسهل حفظاً. ثم^(٤) صرّع أبيات الأرجوزة - أي جعل أشطر الأبيات كلها على قافية واحدة - وقد قصد أسلوب التصريع في الهجاء لِيُذِلَّ على الممارسة وقوة الطبع وغزارة الثروة اللغوية، وليكون الإيقاع أقرب إلى التصفيق والترقيص لو أنشدتها الإنسان .

(١) سلمى - جبل في نجد كانت قبيلة طيء تسكن بين جبلي أجأ وسلمى. سلام - بكسر السين - شرحها محققو كتاب أبي تمام بأنها الحجارة واحدها سلمه . ولعلها بفتح السين وهي أقرب في المعنى ، جاء في اللسان [السلام - بفتح السين - نوع من الشجر واحده سلامة ، وبكسر السين : نوع آخر من الشجر واحده سلمة - بفتح السين واللام ... وزعموا ان السلام ابدأ اخضر لا يأكله شيء ، والظباء تازمه وتستظل به ولا تستكن فيه وهو ليس من عظام الشجر] ومن سياق معنى البيت وما جاء في اللسان نجد أن الكلمة هي [سلام] بفتح السين أي الشجر الاخضر . ويقصد الشاعر اشجاراً خضراء تحيط بجبل سلمى لا الصخور الجرداء . وبين سلمى وسلام جناس من علم البديع .

(٢) قسي - جمع قوس وهي آلة على شكل نصف دائرة ترمي بها السهام. (٣) الباسقات - العاليات . دنا - قرب . الصرام - اوان إدراك النخل. (٤) صرّع - في اللسان [التصريع في الشعر تقفية المصراع الاول ... والتصريع في الشعر يدل على أن صاحبه مبتدئ إما قصة أو قصيدة] .

ويعلّل ابن رشيق تصريح الأبيات بقوله " [وسبب التصريح في الشعر مبادرة الشاعر القافية لِيعْلِمَ من أول وَهَلَة أنه اخذ في كلام موزون غير منشور ، ولذلك وقع في أول الشعر . وربما صرّح الشاعر في غير الإبتداء ، وذلك اذا خرج من قصة الى قصة أو من وصف شيء الى وصف شيء آخر ، فيأتي حينئذ بالتصريح إخباراً بذلك وتنبيهاً عليه . وقد كثر استعمالهم هذا حتى صرّعوا في غير موضع تصريح ، وهو دليل على قوة الطبع وكثرة المادة ، إلّا انه اذا كثر في القصيدة دل على التكلّف إلّا من المتقدمين] .

فمخلد جعل قصيدته من هذا الوزن والإيقاع لأنه يهجو شاعراً فحلاً وهو يريد العبث والهزل والسخرية ولا يريد الجد . فانت لو قرأت وصفقت بيديك أو مسكت طفلاً ورقصته لوجدت تناسباً تاماً بين إيقاع الشعر والتصفيق والترقيص .

ثم ماذا فعل مخلد ؟ انه بدأ بوصف حالة الأعرابي في البادية وما كله ومشربه وحياته الخشنة فيقول له : لو اختطفت وَبْرَة - وهي دويبة على قدر السنور - واختطفت ضَبّاً ، ومصصت اليرْبُوع نِياً صلباً والحنظل غَضّاً رطباً ، ولم تذق ماءً بارداً عذباً . وَبُلْتَ بولَ جمل هبّ لليسفاد ، ولم تطلب من المال غير الإبل ، ثم قعدت القرفصاء منكباً كأعرابي الصحراء ، ولم تدخل إيواناً في دار لأن الأعرابي يحب الصحراء الواسعة ويكرب نفسه سكنُ الدور . ولو نكحت بالشام من العرب الكرام : حَمِيرَا وكَلْبَا وقيسَ عَيْلَان ، حيث لها الأمر والنهي لا حيث النسب الجديد يصبح عبداً ويمسي سيداً . ثم اتخذت صنم اللات

- اشارة الى اتهامه بالكفر - فينا ربّا ، وصرت تتعاطم في لغتك فتقول
 للقطن عُطْباً - وهو القطن نفسه - وتقول : للحجار البليد جملاً ضخماً .
 فانت لو قمت بكل هذا ما كنت إلا نَبِطِيّاً قُحّاً من انباط الشام ،
 ينقر الصخر ليسيح الماء فيشرب النبات وينبت الحب والشجر - وهذا
 من عمل الانباط وقد سُمُوا نَبَطاً لاستنباطهم ما يخرج من الأرض -
 وبذلك هيّجت مني شاعراً ثابتاً يُدير في فمه سيفاً قاطعاً ، وهو مدّاحٌ
 شتّامٌ يقطع أعراض اللثام قطعاً .

وهذا الاسلوب الذي سار عليه مغلّد هو الذي اجبر أبا بكر الصولي
 بأن يعترف بأنه (فَنٌ) في الهجاء - وهو فنّ الكاريكاتير - على الرغم
 تعصّبه الشديد لابي تمام وغزوه لكل من هجاه أو تعرض له .
 والقصيدة هي^(١) :

لَوْ اِمْتَحَنْطَتَ وَبُرَّةً وَضَبّاً

وَامْتَشَّتَ الْيَرْبُوعَ نِيّاً صُلْباً^(٢)

(١) اخبار أبي تمام ص ٢٣٦ .

(٢) امتخط - فسرّها محققو الكتاب بمعنى [استنثّر] أي انزل المحاط
 من انفه . وأرى انها بمعنى [اختطف] . في اللسان [امتخط الشيء اختطفه]
 إذ لا معنى أن يمتخط وبرة وضباً من انفه ولو أنه اراد الهجاء ، ولعله اراد ،
 لو اختطفت وبرة وضباً . وهذا اقرب لواقع الحال . البرة - دويبة على قدر
 السنور من ذواب الصحراء . الضب - حيوان من الزواحف ذنبه كثير العقد .
 إمتش - امتش اليربوع اي مصه بمضوغاً ، والفعل [مش] ، والفعل المضارع
 الثلاثي اذا اتصل بضمير رفع متحرك يفك إدغامه فكان الواجب أن يقول :
 إمتششت ، لكنه حفاظاً على الوزن لم يفك الإدغام ، والشاعر يجوز له ما =

وَامْتَصَّتَ الْحَنْظَلُ غَضًّا رَطْبًا
 وَلَمْ تَذُقْ مَاءً تُقَاخًا عَذْبًا^(١)
 وَبُلْتَ بَوْلَ جَمَلٍ قَدْ هَبَا
 وَلَمْ تَرُمْ إِلَّا الْجَمَالَ كَسْبًا^(٢)
 ثُمَّ قَعَدْتَ الْقَرْفَصَا مُنْكَبًا
 تَحْكِي عَرَايِي فَلَاةَ قَلْبَا^(٣)

= لا يجوز لغيره حرصاً على الوزن وبخاصة في بحر الرجز . اليربوع - نوع من الفأر قصير اليدين طويل الرجلين .

(١) امتصت - اصلها امتصصت - بفك الإدغام - وقد حدث في هذا الفعل ما حدث بالفعل امتشت . الماء النقاخ - البارد العذب الصافي الخالص .
 (٢) هب الجمل هيب - بكسر الهاء - أراد السفار . لم ترم - لم تطلب .
 (٣) القرفصا - اصلها القرفصاء - حذف الهمزة لضرورة الشعر . والقرفصاء أن يجلس الرجل على ركبتيه ويلصق بطنه بفخذه فينكب على وجهه . تحكي - تشابه . عرايى فلاة - الفلاة هي الصحراء . وعرايى ليست نسبة الى عربي أو اعرابي ولو جعلناها [عربي أو اعرابي] لتغيرت التفعيلة [مستفععلن] . ولعل صوابها [غرايى] - بالغين المضمومة - جاء في اللسان [اسود غرايى] أي شديد السواد ... وأغربة العرب سودانهم ، شبهوا بالأغربة - جمع غراب - في لونهم ، والأغربة في الجاهلية : عترة ... وتأبط شراً والشنفرى [فلعل الشاعر أراد انه يشبه الأعرابي الغرابي الاسود في الصحراء ، ووجه الشبه اثر الحشونة وقسوة الحياة وشدة الحرارة جعلته يحترق ويسود ، وبذلك حذف الموصوف وابقى الصفة .

إِنَّ دَخَلَ الْإِيوَانَ صَاحَ الْكَرْبَا
 حَتَّى يَحُلَّ جَنْجَعَانَا رَحْبَا^(١)
 وَلَوْ نَكَحْتَحَ حِمِيرًا وَكَلْبَا
 وَقَيْسَ عَيْلَانَ الْكِرَامَ الْغُلْبَا^(٢)
 بِالشَّامِ حَيْثُ زَجَرُهَا يُلْبَى
 لَاحِثُ أَضْحَى النَّسَبِ الْمُرَبَّى^(٣)
 يُصْبِحُ عَبْدًا وَيُرُوحُ رَبًّا
 ثُمَّ اتَّخَذَتِ اللَّاتُ فِينَا رَبًّا^(٤)
 وَلَمْ تَسْمُ الْقُطْنَ إِلَّا عُطْبَا
 وَقُلْتَ لِلْعَيْرِ الْبَلِيدِ جَوْبَا^(٥)

(١) جمعجان - الجمعاج - المكان الضيق الحشن . الكرب - الضيق والحزن . الرحب - الواسع .

(٢) الغلب - جمع اغلب وهو الغليظ الرقبة وفي اللسان [يصفون السادة بغلظ الرقبة وطولها] .

(٣) الزجر - المنع والنهي . المرابي . المهذب وربى الولد غذاه وجعله يربو .

(٤) يروح - يرجع في المساء . الرب - في الشطر الأول بمعنى السيد وفي الشطر الثاني إسم من أسماء الله . اللات - صنم كانت تعبد به بعض القبائل ، وهو يشير الى اتهامه بالكفر .

(٥) العطب - بالضم وبضمتين هو القطن . العير - الحمار . الحوب - الضخم من الجمال وسمي الجمال حوباً بزجره .

مَا كُنْتَ إِلَّا نَبِيطًا قَلْبًا
 لَوْ ذَقَرَ الصُّخْرَ أَفَاضَ غَرْبًا^(١)
 حَتَّى يُسِيحَ لِلنَّبَاتِ شَرْبًا
 وَيُنْبِتَ الْحَبَّ بِهِ وَالْقَضْبَا^(٢)
 هَيَّجَتْ مَنَى شَاعِرًا أَرْبَا
 يُدِيرُ فِيهِ حُسَامًا عَضْبَا^(٣)
 مُهَنَّدًا مَدَّاحَةً مَسْبَا
 يَلْحَبُ أَعْرَاضَ اللُّثَامِ لَحْبَا^(٤)

ثم يعلّق الصولي في نهاية القصيدة بقوله^(٥) : [وهذا الفن قد سبق

(١) النبط - في اللسان [النبط جيل من الناس ينزلون سواد العراق ..
 ونبيط اهل الشام وفي رواية انباط الشام ... وإنما سموا نبطاً لاستنباطهم
 ما يخرج من الارضين - لانهم كانوا يشتغلون بالزراعة وعمارة المدن] .
 الغرب - بسكون الراء - الراوية التي يحمل عليها أو الدلو العظيمة .

(٢) يسبح - ساح الماء جرى على وجه الارض وأساح الماء جعله يجري .
 القضب كل شجرة طالت وبسطت اغصانها

(٣) أرب - رب وأرب بمعنى جمع ولزم واقام وزاد . وفي اللسان
 [رب بالمكان وأرب اي لزمه وأربت الإبل بكان كذا اي لزمته واقامت به] .
 الحسام العضب - السيف القاطع .

(٤) المهند - السيف المطبوع من حديد الهند . مداحة - صيغة مبالغة
 من المدح وزيادة التاء لتأكيد المبالغة في المدح . المسب - كثير السب والشم ،
 صيغة مبالغة . يلحبه لحباً - يؤثر فيه تأثيراً كبيراً ، وفي اللسان [رجل
 ملحب - بكسر الميم - اذا كان مبأبأ بذىء اللسان] .

(٥) اخبار ابى تمام ص ٢٣٨ وسنذكر القصيدتين وشرحهما في
 موضع آخر .

مُخلد إليه ؛ قال أبو نَواس في أبي خالد الفارسي - ثم يذكر القصيدة - وقد
سُبق أبو نَواس أيضاً الى هذا - ويذكر قصيدة لِمَحمَد عَجْرَد - [.
ثم يستمر مُخلد في هجاء أبي تمام ويقول له ^(١) :

يا نَبِيَّ الله في الشَّعر (م) ويا عيسى بنُ مَرِّيمَ
أنتَ من أشعر خَلقِ الله (م) ما لم تَتَكَلَّمْ

وكان أبو تمام اسم اللون طويلاً في لسانه نَمْتَمَة . ويقول ابن
رشيق وقد روى هذين البيتين ^(٢) (وكانت في حبيب حُبْسَة شديدة
إذا تكلم) وحبيب اسم أبي تمام .

ويقول الصولي ^(٣) : أنشدني أبو جعفر مولى آل سليمان بن علي لمُخلد
في أبي تمام :

أَنظُرْ اليه والى خُبَيْثِه كيفَ تَطَايا وهو مَنشُور ^(٤)

(١) اخبار أبي تمام ص ٢٤١ .

(٢) العمدة ج ١ ص ٩١ .

(٣) اخبار أبي تمام ص ٢٣٦ .

(٤) تطايا - هذه الصيغة إذا كانت بوزن [تفاعل] من الفعل [طوى
يطوي] لانه اتى معها بكلمة [منشور] - وهذا من الطباق في علم البديع -
ومن معاني هذه الصيغة إظهار ما ليس في الباطن - فيجب ان تكون [تطاوى]
لان في الفعل واواً أصلية ، وإذا اخذ الفعل من اسم القبيلة [طيء] فأصل الفعل
[طاء يطوء] وليس طوى يطوي وبذلك تكون الكلمة [تطاوى] . في
اللسان [طاء في الارض يطوء اي ذهب والطاء الإبعاد في المرعى ... ومنه
أخذ طيء مثل سيد ابو قبيلة من اليمن فأما قول من قال إنه سمي طياً لانه اول
من طوى المناهل فغير صحيح في التصريف [وفي كلتا الصيغتين [تطاوى
وتطاوى] يستقيم الوزن والمعنى . وأرى ان في الكلمة تحريفاً .

ثم على طاقٍ شَخِيتِ القُوى نَسَبْتُهُ وَاللَّؤْمُ مَضْفُورٌ^(١)
وَيْلَكَ مَنْ دَلَّكَ فِي نِسْبَةٍ قَلْبُكَ مِنْهَا الدُّهْرَ مَذْعُورٌ^(٢)
لَوْ ذِكْرَتْ طَاءٌ عَلَى فَرْ سَخٍ أَظْلَمَ فِي نَظَرِكَ النُّورُ^(٣)
ولما توفي أبو تمام رثاه مخلد بهجاء ، فقال^(٤) : وهو من الهجاء
المُقَدَّر :

سَقَتْ حَتَارَكَ يَا طَائِي غَادِيَةً
مَنْ السَّيْنِيَّ وَقُطْعَانُ مِنَ الْكَمَرِ^(٥)

(١) الطاق - ما عطف من الابنية . الشخيت - النحيف الجسم ،
الضئيل . مضفور - اسم مفعول من ضفر وضفر الجبل قتله ، وضفر الشعر نسج
بعضه على بعض عريضاً . اي ان نسبته مبنية على شيء واه . واستعار الضفر للؤم .
(٢) مذعور - خائف .

(٣) الطاء - هي اول حروف كلمة [طيء] . الفرسخ ثمانية كيلو
مترات تقريباً .

(٤) اخبار أبي تمام ص ٢٤٠ . وقد روى ابو هلال العسكري في كتابه
ديوان المعاني ج ١ ص ٢١٤ - البيت الاول والثالث وترك الثاني ، معتبراً هذين
البيتين من جيد الهجاء .

(٥) الحتار - بفتح الحاء - كما جاء في اللسان ، وبكسر الحاء كما جاء في
القاموس - هو حلقة الدبر او ما بينه وبين القبل او الخط بين الخصيتين .
الغادية - السحابة تنشأ غدوه - اي بكرة - او مطرة الغداة . المني -
ما يخرج من ذكر الرجل عند الجماع . قطعان - جمع قطيع وهو الطائفة من الغنم
وسواها . الكر - بفتحتين - في القاموس : جمع كمر - بالفتح - وهي
رأس الذكر .

فَنَوءُ جُرْدَانَ أَشْهَى لَا أَشْكُ بِهِ

إِلَى حَتَارِكَ مِنْ نَوءَينِ مِنْ مَمْطَرٍ^(١)

حَرُّ الْحُلَاقِ وَبَرْدُ الشِّعْرِ أَتْلَفَهُ

فَجَاءَهُ الْمَوْتُ مِنْ حَرٍّ وَمِنْ خَصَرٍ^(٢)

(١) النوء - المطر . جردان - في القاموس : هو قضيب ذوات الحوافر أو عام . - أي كل قضيب - والجمع جرادين . ويقصد بنوء جردان : مني الذكر . والمحققون لم يشرحوا البيت .

(٢) الحلاق - بضم الحاء - في اللسان [الحلاق في الأتان - أنثى الحمار - التي لا تشبع من السفاد ولا تعلق مع ذلك - أي لا تحبل -] الخصر - البرد .

مخلد الموصلي وأبو بكر الصولي

لابدّ لنا من وقفة مع أبي بكر الصولي ، المتعصب لأبي تمام والذائد عنه ، والمهاجم لكل من تعرّض له أو نقده أو هجاءه .

فالصولي تحدث عن هجاء مخلد لأبي تمام ، وذكر له قصيدتين - شرحناهما - وذكر له بعض ابيات متفرقة ، لكنه كلما ذكر مخلداً كان يأتي برواية تطعن فيه ، حباً بالدفاع عن أبي تمام وانتقاصاً من شأن مخلد . وللنقاد المحدثين ودارسي النقد الأدبي عند القدامى ، رأي في أبي بكر الصولي ونقده ومنهجه وتعصبه لأبي تمام ومدى صدق رواياته والإعتماد عليها فيما يخص أبا تمام ومن خالفه وهجاءه .

ولعل من ابرزهم الدكتور محمد مندور في كتابه [النقد المنهجي عند العرب] . يقول الدكتور مندور في الحديث عن إتهام أبي تمام بالكفر ودفاع الصولي عنه ^(١) [وكتب النقد التي بين ايدينا لا تحمل أي صدى لهذه التهمة التي لم نجدها إلا عند الصولي الذي يريد أن ينتصر لأبي تمام بكل الوسائل وأن يجرّح خصومه بكافة الوسائل] ، وهو يريد أن الصولي قد اصطنعها للدفاع عن أبي تمام ليس غير .

وبعد أن يتحدث الدكتور مندور عن غرور الصولي وعن نسبته

(١) النقد المنهجي عند العرب ص ٦١ .

الجهل الى العلماء والنقاد يقول^(١) : [وتلك هي روح الصولي الثقيلة في كتابه (اخبار أبي تمام) ، وفي هذا ما يدعونا الى الإحتياط في قبول اقواله ، لأن الغرور قد افسد عليه أمره . ومن ثم كُنَّا مُمِيلَ الى أن لا نعلق قيمة كبيرة على تحمّسه لأبي تمام وقدحه في خصومه] .

ثم يقول^(٢) : [وأما الصولي فهو في الحق المتعصب المُغْرِض ، وإنه وإن يكن في كتابه ما يدل على إنحيازه للشعر الحديث عن ذوق في خاص ، فإن الذي يبدو هو ان مناصرته لأبي تمام كانت اقرب الى اللجاجة والإسراف منها الى النقد الموضوعي الدقيق . ويزيد الحكم عليه قسوة إفراطه في الغرور والتبجح بعلمه ثم فساد ذوقه وصدوره عن نظرة شكلية يغرها البهرج وتطرب للغريب] .

ولنرجع الى ما يقوله الصولي عن مخلص الموصلي :

يقول الصولي^(٣) : [حدثني ابو سليمان النابلسي قال : قيل لأبي تمام : قد هجأك مخلص فلو هجوته ؟ قال : الهجاء يرفع منه ، قيل اليس هو شاعر ؟ قال : لو كان شاعراً ما كان من الموصل . يعني ان الموصل لم يخرج شاعراً . قال ابو سليمان وأصل مخلص من الرُّحْبَة ثم أقام بالموصل] .

فالصولي يذكر هذه الرواية ويفسرها هو أو يفسرها الراوي بقوله (يعني ان الموصل لم يخرج شاعراً) ثم يزيد عليها رواية أبي سليمان بأنه من الرُّحْبَة .

(١) المصدر السابق ص ٦٣ .

(٢) المصدر السابق ص ٧٣ .

(٣) اخبار أبي تمام ص ٢٣٤ .

والصولي يجزم بأن الموصل لم تخرج شاعراً ، سواء أكان هذا الرأي رأيه أم رأياً رواه ، وهذا حكم غريب جداً من ناقد كالصولي . ولعل أبا تمام - إن صدقت الرواية - كان يقصد أن الموصل لم تخرج شاعراً على ذوقه وهواه وسلوكه لتطمئن اليه نفسه . وآراء الشعراء في بعضهم تخضع للأهواء والمشتبهات . والطراز الذي يريده أبو تمام من الشعر والشعراء كان بعيداً عن مدينة الموصل وقتئذ ، لكن الصولي قبيل الرواية ولم يناقشها وقبل رواية أبي سليمان وابعده مخلصاً عن الموصل .

والموصل أنجبت شعراء كثيرين منهم الذين ذكرناهم في (ص ٣١) وروى لهم أبو زكريا الأزدي القصائد الطوال . والموصل بلد عربي يسكنه الألوفا من العرب على اختلاف قبائلهم ، وفيها حركة علمية وفقهية وأدبية - كما تحدثنا عنها - فكيف ينعدم الشعر في عرب هذه المدينة والشعر من طباع العربي^(١) (وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم بأنه قال : لا تدعُ العربُ الشعرَ حتى تدعَ الإبلُ الحنَّينَ) ؟؟ وقد كثرت الشعراء في هذه المدينة بعد هذه الفترة ، حتى إن أبا منصور الثعالبي ٤٢٩-١٠٣٧م عند حديثه عن شعراء الإقليم في كتابه (يتيمة الدهر) خصَّ الباب العاشر منه في^(٢) (شعراء الموصل وُغَرَّرُ أشعارهم) .

ثم يقول الصولي^(٣) [وكان أبو تمام لا يحب هاجياً له ، لأنه كان

(١) كتاب : في علمي العروض والقافية ص ١٢ . الحنين : الصوت عن طرب أو حزن .

(٢) يتيمة الدهر ج ٢ ص ١٠٣ .

(٣) أخبار أبي تمام ص ٢٤١ - الشقشقة - شيء كالرئة يخرج البعير من فيه إذا هاج ، وهي كناية عن هيجانه وهذره . أجتديه - اطلب عطاه .

لا يراه نظيراً ولا يشتغل به . حدثني ابو العشائر الازدي الشاعر قال :
حدثني أبي قال : قلت لابي تمام : ويحك قد فضحنا هذا الموصلي
بهجائك فاجبه ، قال : إن جوابي يرفع منه ، واستدر به سببه ،
واذا امسكت عنه سككت شقيشقتة ، وما في فضل مع هذا عن مدح
من أجتديه [.

والدكتور مندور ينقل هذه الرواية ويعلق عليها بقوله ^(١) [وفي
هذا ما قد يشعر بأن أبا تمام كانت فيه مواضع ضعف لعل منها نسبة] ،
والمعروف ان مغلداً الموصلي كان في هجائه منصّباً على اصل أبي تمام
ونسبه وسلوكه ولا يستطيع ابو تمام ان يهجو ويدافع عن نفسه .

والغريب في الأمر ان ابن رشيق ٤٥٦هـ - ١٠٦٣م وهو من ابناء
القيروان في تونس يقول ^(٢) [وابو تمام هجاه دُعِيلٌ - الخُزاعي -
 وغيره من الأكفَاء فجاوبهم وابتدأ بعضهم ولم يلتفت إلى مغلد بن
بَكَارِ الموصلي حين قال فيه] وكانت في حبيب حُبْسَة شديدة
اذا تكلم [:

يا نَبِيَّ الله في السَّعَرِ (م) ويا عيسى بن مَرْيَمَ

أنتَ من أشعر خلقِ الله (م) ما لَمْ نتكلَّمْ

وقال فيه أشعاراً كثيرة منها : (ثم ينقل الأبيات الثلاثة التي
شرحناها وأولها :

أنظرُ اليه والى خُبَيْثِه كيف تطايا وهو منشورُ

(١) النقد المنهجي عند العرب ص ٦٢ .

(٢) المعدة ج ١ ص ٩١ .

بل رآه دون المهاجاة والجواب ، ولو هجاه لشرفت حاله ونسبه ذكره [. فكيف جاز لابن رشيق وهو ناقد أدبي معروف ان ينقل هذه الرواية ويعلق عليها وهو لم يدرس ظروف مغلد ولا يعرف من هو ولم يطلع على الشعر الذي هجاه به ولا سبب هجائه ، وبين ابن رشيق وبين أبي تمام ومغلد اكثر من قرنين كاملين وابن رشيق في القيروان ومغلد في الموصل ؟

هذا وغيره يحتم علينا عند دراسة الأدب العربي وآراء النقاد أن نتقف طويلاً وطويلاً عند رواياتهم واحكامهم ، ولكل جواد كبوة وكبوات .

ثم لا يكتفي الصولي بهاتين الروايتين بل يجرّد مغلداً من فضل السبق في نظم الشعر الهزلي الساخر (الكاريكاتير) . هذا الشعر الذي اعترف به الصولي نفسه بأنه (فنّ) بعد ان نقل القصيدتين اللتين تحدثنا عنها فيقول^(١) : [وهذا الفن قد سبق مغلد اليه ، قال ابو نواس في أبي خالد الفارسي ، وخرج الى البدوشهرين فصار (نَمِيرِيّاً)^(٢) وعاد فأنكر (السَمِيزِيّاً)^(٣) فقال : ما هذه الخراطيم التي لا أعرفها ؟ فقال فيه ابو نواس^(٤) :

(١) اخبار أبي تمام ص ٢٣٨ .

(٢) نميرياً - نسبة الى نمير بن عامر بن صعصعة من هوازن من العدنانيين .

(٣) الميازيب - جمع ميزاب وهي القناة التي يجري فيها الماء مثل ميازيب السطوح .

(٤) اخبار أبي تمام ص ٢٣٩ .

يا راكباً أقبِلَ من ثَهْمَدٍ
 كيفَ تركتَ الإِبِلَ والشَّاءَ؟^(١)
 وكيفَ خَلَفْتَ لَوَى قَعْنَبٍ
 حيثُ ترى التَّنُومَ والآءَ؟^(٢)
 جاء من البَدْوِ أبو خالِدٍ
 ولم يزلْ بالمِصرِ تَنَاءً^(٣)
 يعرفُ للنَّارِ أبو خالِدٍ
 سوى إسمِها في النَّاسِ ، أَسْمَاءُ^(٤)
 إذا دعا الصَّاحِبَ يَهْيَا بِهِ
 وَيُتْبِعُ اليَهْيَاءَ يَهْيَاءُ^(٥)

(١) ثهمد - أكمة ، تل في بلاد خثعم من اليمن . الإبل - بكسر الباء وسكونها هي الجمال . الشاء - جمع شاة .

(٢) اللوى - ما التوى من الرمل - القعناب - اسم مكان . التنوم - شجر له ثمر من النباتات الطبي (قاموس) . الآء - ثمر شجر واحدتها آءة .

(٣) المِصر - البلد . تناء - صيغة مبالغة من الفعل تنأ بالمكان أي اقام والتناء المقيم .

(٤) المعنى انه يعرف للنار اسماء كثيرة سوى كلمة (النار) التي يعرفها الناس .

(٥) يهيا - في القاموس (يهيا بالإبل ، قال لها : ياه ياه ... وياهياه أي أقبلي . ويهيا من كلام الرعاة) ويقصد انه اذا دعا صاحبه يصبح به كراعي الإبل الذي يردد صوته عند زجر الإبل .

لو كنتَ من فاكهةٍ تُشْتَهَى

لَطَيَّبَهَا كُنْتَ الْغُبَيْرَاءُ^(١)

لَا تَغْبِرُ الْخَلْقَ إِلَى دَاخِلِهِ

حَتَّى تَحْسَى فَوْقَهَا الْمَاءَ^(٢)

ثم يستمر الصولي بعد قصيدة أبي نواس فيقول^(٣) : [وقد
سبق أبو نواس أيضاً الى هذا . حدثني مُسَبِّحُ بن حاتم العُكْلِي قال :
حدثني يعقوب بن جعفر قال : أمر اسماعيل بن علي^(٤) لِحَمَادِ
عَجْرَدٍ بخمسة آلاف درهم ، فَمَطَّلَهُ بها كاتبه محمد بن نوح ، فقال
فيه حماد :

قال ابنُ نُوحٍ لي وَقَدْ أَظْهَرَ بَعْضَ الْغَضَبِ

أَنْتَ الَّذِي نَفَيْتَنِي فِي الشَّعْرِ عَنْ نُوحٍ أَبِي^(٥)

فَقُلْتُ : لَا ، لَا تَرُمْنِي مِنْكَ بِمَحْضِ الْكَذِبِ^(٦)

(١) الغبيراء - نبات .

(٢) تحسى - اصلها تتحسى حذفتم إحدى التاءين لحقة اللفظ ، وتحسى

الماء أي شربه شيئاً بعد شيء .

(٣) أخبار أبي تمام ص ٢٣٩ .

(٤) حماد عجرد هو حماد بن يحيى بن عمر ، مولى بني عامر بن صعصعة ،

كثير التكبب بالشعر ، وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية إلا أنه
اشتهر في أيام بني العباس ، وكان خليعاً ماجناً مهتماً في دينه ، مرمياً بالزندقة
وقد أكثر من هجاء الشاعر بشار بن برد وغيره - الاغانى ج ١٤ ص ٣٢١ .

(٥) نفيتني - دفعتي وأزلتني ونحيتني .

(٦) محض الكذب - الكذب الخالص الذي لم يخالطه الصدق .

وَيَحْكَ لَمْ أَفْعَلْ وَإِنْ كُنْتَ سَقِيمَ الْحَسْبِ .^(١)
لَكُنِّي كُنْتُ فَتَى عِلَامَةً بِالنَّسْبِ
فَقُلْتَ لِي : نُوحٌ أَبِي فَقُلْتُ : جَاوِزُ بَابٍ^(٢)
فَلَمْ تُجَاوِزْهُ وَفِي ذَلِكَ بَعْضُ الرِّيبِ^(٣)
فَيَا ابْنَ نُوحٍ يَا أَخَا الدِّ (م) حِلْسٍ وَيَا ابْنَ الْقَتَبِ^(٤)
وَمَنْ نَشَا وَالِدُهُ بَيْنَ الرُّبَى وَالْكُثْبِ^(٥)
يَا عَرَبِي يَا عَرَبِي يَا عَرَبِي يَا عَرَبِي

وقد ذكرت هاتين القصيدتين ليقارن القارئ بينهما وبين قصيدتي
مخلد في أبي تمام . ومقارنة الصولي لمخلدأ بابي نواس وحماد عنجرد في
هذا الفن من الشعر الهزلي الساخر يجعله في مكانة مرموقة ولا يقلل من
شأنه إذا أراد ذلك ، لأن هذين الشاعرين في القيمة من شعراء العصر ،

(١) ويحك - ويح كلمة ترحم وتوجع وقيل انها بمعنى ويل ، ويحك
أبي ويلك . الحسب - شرف الاصل ومفاخر الآباء .

(٢) جاوز باب - أي تجاوز أباك وعدد لنا جدودك لأنك لا تعرفهم .

(٣) الريب - جمع ريبة وهي الشك والتهمة .

(٤) الحلس - كل ما يوضع على ظهر الدابة تحت السرج أو الرحل وما
يبسط في البيت على الارض تحت الثياب والمتاع . ويقال : فلان حلس بيته أي
ملازمه لا يبرحه وهو عندهم ذم كأنه لا يصلح إلا للزوم البيت . القتب -
ما يوضع على ظهر البعير على قدر السنام . وهو يقصد أن ابن نوح أعرابي بدوي
لا يعرف غير حياة البداوة .

(٥) نشا - أصلها نشأ ، ابدل الهمزة ألفاً لضرورة الشعر . الربى -
جمع رابية وهي ما ارتفع من الارض . الكثب - جمع كثيب وهو التل الصغير
من الرمل أو ما اجتمع من الرمل وكان كومة كبيرة .

وبخاصة حمّاد عَجْرَد ، فقد كان من اكثر الشعراء تفنّناً في الهجاء ، لكن مخلداً جاء بشيء صعب في القصيدة الثانية وهو (التصريح) الذي شمل القصيدة كلها بحيث لا يحس القارئ بصناعة متكلّفة ثقيلة على النفس وهي توافق ايقاع التصفيق والترقيص ، وهذا ما زادها فناً وروعة .

ثم إن مخلداً لم يهيجُ شخصاً من عامة الناس ولكنه يهجو أبا تمام الشاعر الذي له مكاتته ومنزلته بين الشعراء . ومخلد كان يعلم مايقول ، ويعلم أي شخص يهجو ، لذلك تفنن وأتى بما يرتفع الى مستوى المهجو وهو أبو تمام .

بعد هذه المرحلة من الناذج والشروح ، نعود في خاتمة المطاف الى الاستاذ توفيق الحكيم ، لنطلع على رأيه فيما يعنيه الهجاء الكاريكاتير - ويسميه الكاريكاتور - ولندرك مدى نجاح مخلد بن بكار الموصلي في هذا الفن من الشعر . فالاستاذ توفيق الحكيم يشرح الهجاء الكاريكاتير في كتابه (فن الادب) بقوله " [إن في كل (كاريكاتور) نوعاً من الهجاء ، ولكن ليس في كل هجاء نوع من (الكاريكاتور) . إنك بالهجاء تريد أن تنال ممن تهجو بالحق وبالباطل ، بالحقيقة أو بالإفتراء دون أن تقصد في كل الاحوال أن تُثير فينا الضحك منه أو تظهرنا على مواضع فيه ، باعثة على العبث به والتّندُّر عليه . كل همك في الهجاء أن تُثري بخصمك وأن تطعنه في عزته وكرامته ومواطن رفعة وقوته .

أما في (الكاريكاتور) فإن غرضك الاول هو ان تبحث عن الغلطة

المحسوسة في تكوينه الجسدي وان تَنَقَّبَ عن السقطة الملحوظة في تركيبه النفسي ، وأن تفتش عن الحَلَّة المقوتة في طبعه الخلقى ، حتى اذا عثرت على شيء من ذلك ، وأنت لا شك واجد في اغلب الاحيان ، بادرت الى قلمك أو ريشتك فقامت تُمَعِنُ في تجسيم هذا العيب وتضخيمه وإبرازه على نحو يجعله في نظر الرائي أو القارئ طاغياً على ما عداه من صفات ، فلا يقع البصر أو الذهن إلا على العيب وحده قائماً ، كأنه هو الشخص كله ، وليس للشخص سواه من قوام أو كيان أو وجود . وهذا كل ما فعله مخلد في هذا الفن من الشعر .

استدراك

تابع لشرح البيت الثالث في صفحة [٦٤]

ب - سقطت الكلمة (في) حرف الجر - بين كلمتي (شجاً و مجاري)
فكسر البيت وتغير المعنى . وبذلك تكون العبارة الصحيحة (شجاً في مجاري
الروح) وتفعيلات الشطر من بحر الطويل هي : فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن .
ج - النفس ماسك - الماسك هو المتعلق أو المعتمض بالشيء ، ولكن
ما موقع كلمة (ماسك) من الإعراب اذا كانت كلمة (النفس) منصوبة كما
شكلها المحقق ؟ فلا هي خبراً لـ (أن) في الشطر الأول لأن المعنى لا يدل عليها
ولا هي صفة للنفس لأنها مذكورة مرفوعة والنفس مؤنثة منصوبة ، ولا هي
حالاً منها لأنها مرفوعة ولا هي خبراً لها لان النفس منصوبة معطوفة على
(شجاً) مفعول به .

ولعل كلمة (النفس) محرفة أو مصحفة من كلمة أخرى تكون في محل
رفع على أنها مبتدأ و (ماسك) خبرها والواو حالية أو استئنافية . ولكن
ما أصل الكلمة التي أرادها الشاعر ؟ لعل استطيع أن أقول : إن أصلها
[النعش] - بالعين - وهو سرير الميت كأن النعش قريب متعلق بهن كناية
عن شدة الحاجة وقر بهن من الموت وأظن هذا هو الصواب .
وبذلك يكون الشطر الثاني :

[شجاً في مجاري الروح والنعش ماسك]

المراجع

- ١ - أخبار أبي تمام - لأبي بكر الصولي - تحقيق : خليل محمود عساكر وجماعته المكتب التجاري - بيروت .
- ٢ - الأغاني - لأبي الفرج الاصبهاني : مصور عن طبعة دار الكتب . من سلسلة تراثنا .
- ٣ - الأمالي - لأبي علي القالي البغدادي - مطبعة دار الكتب المصرية . الطبعة الثانية ١٩٢٦
- ٤ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - للسيوطي - تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم . مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٩٦٤
- ٥ - تاريخ التمدن الإسلامي - جرجي زيدان . الطبعة الثالثة . مطبعة الهلال ١٩٢١
- ٦ - تاريخ الموصل - للشيخ أبي زكريا الازدي . تحقيق الدكتور علي حبيبة ١٩٦٧
- ٧ - دفاع عن الأدب . جورج ديهاميل . ترجمة الدكتور محمد مندور . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٢
- ٨ - ديوان المعاني - لأبي هلال العسكري . مكتبة المقدسي ١٣٥٢ هـ .
- ٩ - سمط اللآلئ - للوزير أبي عبيد البكري . تحقيق الشيخ عبد العزيز الميمني . طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٦

- ١٠- طبقات الشعراء - لآبي العباس عبدالله بن المعتز العباسي . تحقيق عبدالستار أحمد فراج . مطبعة دار المعارف بمصر .
- ١١- طبقات النحويين واللغويين - لآبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي . تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم . الطبعة الاولى ١٩٥٤ مطبعة الخانجي .
- ١٢- العمدة - لابن رشيقي القيرواني . تحقيق محمد محي الدين عبدالحيد . الطبعة الاولى . مطبعة حجازي بالقاهرة ١٩٣٤
- ١٣- فن الادب - توفيق الحكيم . المطبعة النموذجية - مصر .
- ١٤- فن التقطيع الشعري والقافية . للدكتور صفاء خلوصي . مطبعة المعارف ١٩٦٣
- ١٥- في علمي العروض والقافية . للدكتور أمين علي السيد . مطبعة دار المعارف سنة ١٩٧٤
- ١٦- القاموس المحيط . للفيروز ابادي . القاهرة ١٩١٣
- ١٧- لسان العرب - لابن منظور . طبعة مصورة عن طبعة بولاق . من سلسلة تراثنا .
- ١٨- معجم الادباء - لياقوت الحموي . مطبوعات دار المأمون . من سلسلة الموسوعات العربية .
- ١٩- معجم البلدان - لياقوت الحموي . مطبعة دار بيروت وصادر ١٩٥٦
- ٢٠- معجم القباب الشعراء . للدكتور سامي مكي العاني . مطبعة النعمان ١٩٧١
- ٢١- من حديث الشعر والنثر - للدكتور طه حسين . الطبعة الاولى ١٩٣٦ مطبعة الصاوي بالقاهرة .

- ٢٢- ميزان الذهب في صناعة شعر العرب . للسيد احمد الهاشمي . الطبعة التاسعة . مطبعة السعادة ١٩٣٨
- ٢٣- النقد الأدبي - للأستاذ أحمد أمين . لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٢
- ٢٤- نقد الشعر - لابي الفرج قدامة بن جعفر . تحقيق محمد عيسى منون . الطبعة الاولى ١٩٣٤ . المطبعة المليجية .
- ٢٥- النقد المنهجي عند العرب - للدكتور محمد مندور . مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٨
- ٢٦- الهجاء والهجاءون في الجاهلية - للدكتور م . محمد حسين . مطبعة احمد مخيمر ١٩٤٧
- ٢٧- الوساطة بين المتنبي وخصومه - لابي الحسن علي بن عبد العزيز الشهير بالقاضي الجرجاني . تحقيق احمد عارف الزين . مطبعة محمد علي صبيح .
- ٢٨- الوسيط في الادب العربي وتاريخه - للشيخ احمد الاسكندري والشيخ مصطفى عناني - الطبعة الثالثة . المطبعة الرحمانية ١٩٢٣
- ٢٩- يتيمة الدهر - لابي منصور الثعالبي . الطبعة الاولى . مطبعة الصاوي ١٩٣٤

المرجع الأجنبي

Reader's Digest - September 1964 p. 129.

Too many Shakespeares

By : Dora Jane Hamblim

الأخطاء

اعتذار ورجاء - على الرغم من الحرص الشديد على إتقان الطبع بسبب كثرة التشكيل والتصحيح وسعة الشروح ، فقد حدثت أخطاء - يدر كها القارئ - ومع ذلك نرجو الرجوع الى هذا الجدول عند الحاجة :

صفحة	سطر	خطاً	صواب
٣	١٢	نخلو	يخلو
١٠	٧	ارتياب	ارتاب
١١	٢	تقليدي	تقليدي
١٣	٤	اجتاح	احتاج
١٥	٩	الحاء	الحاء
٢١	١٠	الموصى	الموصلي - تكررت في ص ٦٩، ٣٣
٣٣	١٤	الثن	الثن
٣٨	١٢	دُعاة	دُعاة
٤٠	١	يُعيب	يُعيب
٤٣، ٤٠	٣، ٤	من	في
٤٥	٢	خصّ	خصّ
٤٦	٤	استحسنها	استحسنها

صفحة	سطر	خطاً	صواب
٤٧	١٥	أبو هلاك	أبو هلال
٤٨	٢	دور	دور
٥١	١٢	القلي	القلي
٦٨	١٦	حذت	حذف
٨٢	١٠، ١	الوساطة	الوساطة
٩٠	١٥	تنفت	تنفت
٩١	٥	العبرية	العبرية
١٠٠	١٨	شعر العرب	أدب العرب
١٠٧	١٠	الرغم	رغم
١٠٨	١١	السفار	السفاد

- ٣ - تقديم - للدكتور اكرم فاضل .
٧ - مقدمة
١٥ - مغلد انوصلي
٢١ - الموصل بين سنتي ١٧٠ هـ - ٢٣٢ هـ
٢٢ - » الحالة الإقتصادية والاجتماعية .
٢٣ - » صلة المواصلة بالخلفاء العباسيين .
٢٦ - » الصراع القبلي
٢٩ - » الحالة العلمية
٣٠ - » الحالة الأدبية
٣٣ - مغلد تأثر بالاحداث وبالحالة العلمية والأدبية .
٣٦ - مزاجه وثلقبيه بشاعر المنارة .
٤٠ - قيمة شعره وضياح اكثره .
٥٠ - ما بقي من شعر مغلد .
٥٠ - » في الشوق .
٥١ - » في الغزل
٥٣ - » في المدح
٦٩ - » في الرثاء
٨١ - » في الهجاء
٨٧ - مغلد الموصلي وابو تمام الطائي .
٩٨ - ابو تمام في الموصل وصلته بمغلد .
١٠٠ - مغلد الموصلي يهجو أبا تمام .
١١٤ - مغلد الموصلي وابو بكر الصولي .
١٢٤ - استدراك
١٢٥ - المراجع
١٢٨ - الاخطاء

كتب المؤلف

- ١ - معلم القرية .
- ٢ - البيت والمدرسة .
- ٣ - الطرق العملية لتدريس اللغة العربية .
- ٤ - شاعر المنارة - مخلد بن بكّار الموصلی .
- ٥ - دراسة في اللهجة الموصلية ومعجم الكلمات الفصيحة والكلمات الفارسية - مخطوط .

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد

٣٥٢ لسنة ١٩٧٧

$$\frac{١٠٠٠/٣٠٤}{١٩٧٧/٤/١٧}$$

هذا الكتاب

من تراثنا الأدبي ، يتحدث عن شاعر موصل عاش قبل مائتي والف سنة ، له مكانة عند نقاد الأدب القدامى ، ولكنه لم يزل حطاً من شهرة . كان ثائراً على الظلم وعلى كل من يشذ عن أخلاق الرجال . وهو من أوائل من نظم في قرن شعر الهجاء الهزلي الساخر المضحك (الكاريكاتير) وله مع الشاعر أبي تمام صيغة ودعابة وهجاء ، عندما جاء الى الموصل في آخر سنة من حياته .